

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة العربي التبسي – تبسة
كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية
قسم علم الاجتماع

مطبوعة بيداغوجية للمادة التعليمية الاساسية

النظريات السوسولوجية للتربية
السداسي الاول و الثاني

اعداد - د: بن دار نسيمه
استاذ محاضر - أ-

السنة الجامعية 2022-2023

أولاً: توصيف المقرر الدراسي لمقياس: النظريات السوسولوجية للتربية
السداسي الأول

وحدة التعليم	المعامل	الرصيد	الحجم الساعي	عدد الأسابيع	الحجم الساعي الأسبوعي	طريقة التقييم
أساسية	03	05	45 ساعة	14-16	1سا و30د 1سا و30د محاضرة أعمال موجهة	امتحان +متواصل

السداسي الثانية

وحدة التعليم	المعامل	الرصيد	الحجم الساعي	عدد الأسابيع	الحجم الساعي الأسبوعي	طريقة التقييم
أساسية	03	05	45 ساعة	14-16	1سا و30د 1سا و30د محاضرة أعمال موجهة	امتحان +متواصل

ثانياً: الموضوعات التي سيتم تناولها في مقياس النظريات السوسولوجية للتربية

السداسي الأول

تطبيق	محاضرة	عدد الأسابيع	قائمة الموضوعات
1,5	1.5	01	مدخل مفاهيمي عام حول النظريات السوسولوجية الكلاسيكية في علم الاجتماع التربوية
1,5	1.5	03	المقاربة البنائية الوظيفية في حقل علم اجتماع التربية
1,5	1.5	02	مقاربة الفعل الاجتماعي في حقل علم اجتماع التربية
1,5	1.5	03	المقاربة الماركسية التقليدية في حقل علم اجتماع التربية
1,5	1.5	03	المقاربة النقدية الراديكالية في حقل علم اجتماع التربية

تطبيق	محاضرة	عدد الأسابيع	قائمة الموضوعات
1,5	1.5	01	مدخل مفاهيمي عام حول النظريات السوسولوجية الحديثة في علم الاجتماع التربوية
1,5	1.5	02	التفاعلية الرمزية في حقل علم اجتماع التربية
1,5	15	02	الاثنوميثودولوجية في حقل علم اجتماع التربية
1.5	1.5	02	الظاهرية في حقل علم اجتماع التربية
1.5	1.5	02	الراس المال الثقافي في حقل علم اجتماع التربية
1.5	1.5	02	التعلم الاجتماعي في حقل علم اجتماع التربية
1.5	1.5	02	الانتشار الثقافي في حقل علم اجتماع التربية

ثالثاً: مخرجات التعلم المستهدفة وفقاً لمجالات التعلم وملاءمتها مع طرق التقويم واستراتيجيات التدريس لمقياس النظريات السوسولوجية للتربية

مخرجات التعلم المستهدفة للمقياس	استراتيجيات التدريس	طرق التقويم
01	المعارف	
1.1	* محاضرات مناقشات أسبوعية	أسئلة قبل الشروع في المحاضرة لمعرفة مدى إلمام الطلاب بالمعرفة المتعلقة بالمادة.
2.1	*محاضرات مناقشات أسبوعية	الواجبات والبحوث الفردية والجماعية المشاركة الصفية الاختبارات الفجائية
02	المهارات المعرفية	
1.2	محاضرات ومناقشات	حصص تطبيقية
		مهارة القدرة على فهم ظروف نشأة النظريات الكلاسيكية والحديثة في علم اجتماع

		التربية	
بحوث جماعية	تقديم أهم رواد النظريات الكلاسيكية والحديثة في علم الاجتماع التربوية	مهارة القدرة على التمييز بين النظريات الكلاسيكية والحديثة في علم اجتماع التربية .	2.2
المشاركة الصفية	تقديم السياق المنهجي للنظريات واسقاطه على الحقل التربوي	مهارة القدرة على معرفة المفاهيم والقضايا التي تعالجها النظريات الكلاسيكية والحديثة في علم الاجتماع التربوية .	3.2
البحوث الفردية	ربط المادة العلمية المقدمة بالواقع الاجتماعي المعاش	مهارة القدرة على إسقاط النظريات الكلاسيكية والحديثة في علم الاجتماع التربوية لفهم واقع المجتمع الجزائري.	4.2
مهارات التعامل مع الآخرين وتحمل المسؤولية			03
	تتم بالتنسيق بين الأستاذ المحاضر والأستاذ المطبق	وصف لمهارات العلاقات الشخصية والقدرة على تحمل المسؤولية المطلوب تطويرها.	1.3
تقييم العمل الجماعي مثل مناقشة الطلاب حول موضوع البحث الجماعي للتعرف على دور كل طالب فيه	يتم طلب عمل جماعي عبارة عن بحث مشترك لثلاثة طلاب حول نظرية من النظريات توفيقية أو احد البدائل النظرية	أن يوضح الطالب أهمية العمل التعاوني من خلال المشاركات البحثية مع زملائه.	2.3
تقييم المناقشة الجماعية.	يتم مناقشة الطلاب داخل القاعة حول بعض المواضيع المختارة	أن يتقن الطالب أسلوب الحوار من خلال المشاركة الصفية	3.3

رابعاً: جدول مهام تقويم الطلاب خلال الفصل الدراسي

الأسبوع	مهمة التقويم	
الأسبوع الأول	عرض لمحتوى المقياس وتوزيع البحوث الفردية والجماعية وتحديد طريقة العمل	01
جميع الأسابيع	الانضباط في الحضور والمشاركات الفردية أو الجماعية	02
جميع الأسابيع	عروض أوراق عمل عن موضوعات المقياس	03
الأسبوع ما قبل الأخير	امتحان فجائي	04
فترة الامتحانات	الاختبار النهائي	05

خامسا: الدعم والمرافقة البيداغوجية للطلاب

- *استقبال الطلاب وتقديم الدعم أثناء الساعات المكتبية.
- *التواصل عن طريق البريد الإلكتروني أو عن طريق الفضاء الأزرق -فايسبوك أو واتساب لأستاذة
- *الاجتماعات الدورية مع الأساتذة المطبقين للتنسيق.

سادسا: إجراءات التخطيط للمراجعة الدورية لمدى فعالية مفردات المقياس والتخطيط لتطويره

- عمل مراجعة دورية لمحتوى المقياس، وكيفية صياغة الامتحان التحصيلي.
- متابعة مستمرة لما أنجزه الطلاب في الحصص التطبيقية.
- الاجتماعات الدورية بين مسؤول المادة والأساتذة المطبقين لتحسين وتطوير المقياس.
- تقويم المقياس في ضوء نتائج تعلم المتعلم واقتراح أوجه التحسين والتطوير.

سابعا: بعض المصادر والمراجع

- أنطونيو غيدنز؛ علم الاجتماع؛ ترجمة فايز الصياغ؛ المنظمة العربية للترجمة؛ بيروت 2005
- إيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة محمد حسين غلوم، عالم المعرفة، الكويت؛ 1999
- برتراند راسل، حكمة الغرب: الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ترجمة فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة 1983
- بيار بورديو؛ حرفة عالم الاجتماع؛ ترجمة نظير جاهل؛ دار الحقيقة، بيروت؛ 1993
- جون سكوت؛ خمسون عالم إجتماع أساسي؛ ترجمة محمد محمود حلمي؛ الشبكة العربية للابحاث و النشر؛ بيروت؛ 2009
- محمد عبد الكريم الحراني، النظريات المعاصرة في علم الاجتماع: التوازن التفاضلي صيغة تولىفية بين الوظيفية والصراع، دار مجدلاوي، طبعة أولى، 2007
- صلاح قنصوه، الموضوعية في العلوم الإنسانية، دار التنوير للطباعة والنشر، 2007
- فليب كبان، جان فرانسوا دورتيه؛ علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية
- أعلام وتواريخ و تيارات؛ ترجمة إياس حسن؛ دار الفرقد؛ دمشق؛ 2010
- ستيفان هابر؛ سوسولوجيا هابرماس؛ ترجمة محمد جديدي؛ منشورات ضفاف؛ بيروت؛ 2012.

	الانتشار الثقافي في حقل علم اجتماع التربية	22
	مقاربة التعلم الاجتماعي	23
	التعلم الاجتماعي في حقل علم اجتماع التربية	24
	قراءة عامة للنظريات السوسيولوجية بين الانفصال و الاتصال	25
قائمة المراجع		

اولا: توصيف المقرر الدراسي مادة : النظريات السوسولوجية للتربية

فى احد المواد الدراسية لهذا العام وهى مادة النظريات السوسولوجية للتربية و الموجه الى طلبة سنة أولى علم اجتماع التربية، الكثير منا وبخاصة الاساتذة المحاضرين لهذه المادة، يعلمون اننا دخلنا بشكل مباشر فى متن بعض النظريات السوسولوجية مثل النظرية الوظيفية باعتبارها اول موضوع فى المادة المعني بالتدريس للطلبة، الا اننى ارى (من وجهة نظرى) أن هذا يعتبر خطأ كبير ، لأنه من الطبيعي أن نبدأ قبل الدخول إلى تفسير النظريات بشكل مباشر ان نبدأ ، أولاً فى فهم النظرية ذاتها وأصولها ودورها فى توجيه البحث العلمى وكيفية صياغتها ومشكلاتها والمعايير التى تقاس عليها النظرية ومفهوم النظرية فى ضوء بعض الأسهمات المعتبرة فى ذلك السياق

لذى وجب ان نبدأ، اولاً بفك اللبس الذى يحيط بمصالح النظرية ذاتها فى اذهان الكثير منا حتى نتمكن جميعاً من وضع اطار يتصف بالتماسك والوضوح والترابط فى اذهاننا عن النظرية وماهيتها لذلك سوف نقوم بعرض توصيفي الذى يتناول النظرية كأصطلاح وكتعريف وكأداة علمية لا يمكن الأستغناء عنها فى بناء العلم ذاته .

لايختلف اثنان فى ان المجتمع فى حاجة ضرورية لوجود المدرسة حيث يتلقى فيها الافراد دروساً تربوية و تنشئية، حيث يكتسب كل العارف و الخبرات الحياتية من المؤسسات التربوية التى اوكل لها المجتمع مهمة تربية ابنائه وفق فلسفته التى لايحيد عنها الفرد ليضمن سهولة فى التعايش و الاندماج الاجتماعى

واذا ماكانت النظرية السوسولوجية تهدف الى دراسة الظواهر والمشكلات الاجتماعية،فانها تسعى دائماً بكل مسلماتها ومقولاتها ومفاهيمها وفرضياتها الى دراسة التربية و الظواهر التربوية التى تتم من فراغ،فهى ظواهر لاتعيش بمعزل عن المجتمع الذى تنطلق منه و من مؤسساته،كما تعني بجميع افراد وطريقة تنشئتهم،فهى باختصار عملية اجتماعية بامتياز تختص بدراسة الانسان،واسلوب طريقة تفكيره ونظامه العلائقى و التواصلى مع اقرانه داخل نظامه الاجتماعى و التربوي

هذه النظريات تحاول دائما ترجمة افكارها وتصوراتها الاجتماعية على الواقع التربوي وعلى القضايا التربوية بهدف تشخيص واستجلاء وتخلييل وايجاد حلول تربوية لاي معضلة تربوية تنخر جسد هذا المجتمع

وعليه ،فانالنظريات السوسولوجية للتربية تلعب دورا حاسما في علم اجتماع التربية، وتوفر إطارا نظريا لفهم وتحليل العملية التربوية وتفاعلاتها في السياق الاجتماعي من خلال :

1. **تأثير المجتمع على التربية** : تعمل النظريات السوسولوجية على توضيح كيف يؤثر

المجتمع والبيئة الاجتماعية في العملية التربوية. فهم العوامل الاجتماعية مثل الطبقة الاجتماعية والجنس والعرق والثقافة يمكن أن يساعد في تحديد التحديات والفرص التي تواجهها المؤسسات التعليمية والأفراد.

2. **تحليل التفاعلات التربوية** : توفر النظريات السوسولوجية إطارًا لتحليل التفاعلات

الاجتماعية داخل المدرسة وفي سياق التعلم. يمكن أن تساعد في فهم العلاقات بين المعلمين والطلاب، والديناميات الاجتماعية في الصفوف، وأنماط التواصل بين الأطراف المختلفة في العملية التعليمية.

3. **توجيه السياسات التربوية** : تعمل النظريات السوسولوجية كأداة لتوجيه وتطوير

السياسات التربوية. فهم العوامل الاجتماعية التي تؤثر في التعليم يمكن أن يساعد في اتخاذ قرارات سياسية أكثر فعالية وتنفيذ إصلاحات تعليمية تهدف إلى تحسين نظام التعليم بشكل عام

4. **توسيع المعرفة والفهم** : تساهم النظريات السوسولوجية في توسيع المعرفة والفهم لعلم اجتماع التربية.

5. توفر تلك النظريات الأسس النظرية والمفاهيم اللازمة لفهم التفاعلات الاجتماعية المعقدة داخل المدارس والمؤسسات التعليمية. تمكن الباحثين والعلماء من تحليل الأبعاد الاجتماعية للتربية، مثل التمييز التربوي والأوضاع الاجتماعية للطلاب وتأثيرها على فرص التعلم والتنمية الشخصية.

6. بالإضافة إلى ذلك، تساعد النظريات السوسولوجية في توجيه الأبحاث التربوية وتوفير الأدلة اللازمة لاتخاذ قرارات وسياسات تعليمية مبنية على أسس علمية.

7. تعمل هذه النظريات على توسيع مجال المعرفة في علم اجتماع التربية وتسهم في تطويره وتحسينه.

اخيرا ، تساعد النظريات السوسولوجية على تعزيز التفاهم والحوار بين الباحثين والمختصين في مجال التربية. من خلال استخدام هذه النظريات كأداة مشتركة للتحليل والتفسير، يمكن تعزيز التواصل وتبادل الأفكار والمعرفة بين الباحثين والمجتمع العلمي.

المحاضرة الأولى: مدخل مفاهيمي عام حول النظريات السوسيولوجية في علم الاجتماع

<p>أولاً: تعريف النظرية السوسيولوجية ثانياً : أهمية النظرية وفقاً لسالتيز ثالثاً: أهداف النظرية رابعاً: شروط بناء النظرية السوسيولوجية خامساً : وظائف النظرية السوسيولوجية</p>	<p>عناصر المحاضرة</p>
<p>في نهاية هذه المحاضرة سيتوصل الطالب الي التعرف على أهمية النظرية السوسيولوجية وأهدافها. التعرف على شروط بناء النظرية السوسيولوجية. التعرف على اهم وظائف النظرية السوسيولوجية</p>	<p>اهداف المحاضرة</p>

تمهيد:

لا يختلف اثنان على أن النظرية بالنسبة للباحثين في أي تخصص علمي تعد بمثابة العين الكاشفة للواقع بظواهره المختلفة ، كما أنها في ذات الوقت تعتبر الأداة القادرة على تفسيره وتحليله ، والبحث في العلاقات التي تربط بين ظواهره، ومن ثم الوصول إلي تعميمات وقوانين تمكن الباحث من فهم حقائق الوجود الاجتماعي، لذا يصبح من الأهمية محاولة التعريف بالنظرية العلمية والنظرية السوسيولوجية علي وجه التحديد، إذ أن الباحث السوسيولوجي أو الدارس لعلم الاجتماع يجب أن يكون على دراية كاملة ودقيقة بالنظريات الكلاسيكية والمعاصرة لفهم وتفسير الواقع الاجتماعي الذي يعتبر موضوع لدراساته وأبحاثه العلمية.

1- تعريف النظرية العلمية

لقد حاول العديد من العلماء تقديم تعريفات للنظرية العلمية، منها على سبيل المثال لا الحصر. -توماس وورد **Thomas Word** عرفها بأنها نسق منطقي استنباطي استقرائي يتكون من مفاهيم وتعريفات وافتراضات تعبر عن علاقات بين اثنين أو أكثر من أوجه الظاهرة ويمكن أن ينبثق منها فرضيات يكمن التحقق من صحتها أو خطئها. -بلالوك **Blalock** يرى أن النظرية لا تتكون فقط من نسق المفاهيم، ولكنها لا بد أن تحتوي على قانون وقضايا تستطيع أن تربط بين أكثر من مفهوم ومتغير في وقت واحد. - يعرفها ويلز بأنها مجموعة من العلاقات المترابطة تتميز بدرجة معينة من الصدق.

- أما رينولدز Reynolds فيرى أن مصطلح النظرية يرجع في الأساس إلى الحقائق المجردة التي تعد جزء من المعرفة العلمية تأتي بديهياً في شكل مجموعة من القوانين أو العمليات السببية. ما يمكن استنتاجه من هذه التعريفات على الرغم من أن كل عالم من العلماء حاول التركيز على جانب معين، إلا أن هناك خصائص مشتركة بينها هي أن النظرية العلمية منطقية تتصف بالتجريد تشمل قضايا وتفسر علاقة بين المتغيرات.

وبناء على ما تقدم يمكن القول بأن: **النظرية العلمية هي مجموعة من القضايا المجردة والمنطقية تحاول تفسير العلاقات بين الظواهر في إطار سياق اجتماعي معين.**

2- تعريف النظرية السوسولوجية

على الرغم من حداثة النظرية السوسولوجية إلا أنها كانت جزءاً لا يتجزأ من الفكر الاجتماعي بدأ من الفلسفة اليونانية مرورا بالفلسفة الميتافيزيقية وفلسفة التنوير والفلسفة العقلانية وصولاً إلى المنهج العلمي واستخدامه، خاصة فيما يتعلق بوجهات النظر التي قدمت من الفلاسفة والمفكرين حول تفسير المجتمع والعلاقات والأفراد. والنظرية السوسولوجية لا تختلف كثيراً في مضمونها عن النظرية العلمية وسميت النظرية السوسولوجية لأن مجال اختصاصها واهتمامها العلمي هو المجتمع بكل أبعاده وکلياته وأجزائه.

تتفق النظرية السوسولوجية مع النظرية العلمية من حيث البناء والدور، ولكن تختلف عنها من حيث المضمون ونوعية الظواهر المدروسة. فالنظرية العلمية تعالج الظواهر الطبيعية والنظرية السوسولوجية تتناول القضايا والظواهر الاجتماعية. أما من ناحية البناء والدور فالنظرية العلمية في بنائها تعتمد على مجموعة من المبادئ والقوانين التي تبنى على ملاحظات وبيانات تجريبية يتم اختبارها وإثباتها بشكل متكرر لتفسير الظواهر الطبيعية، أما النظرية السوسولوجية فتعتمد في بنائها على مجموعة من الفرضيات والتفسيرات التي تهدف إلى فهم الظاهرة الاجتماعية معتمدة في ذلك على الملاحظة والتجريب، من ناحية الدور النظرية العلمية تسعى إلى توفير إطار يفسر الظاهرة الطبيعية ويتيح للباحثين التنبؤ بحدوث الظواهر في ظروف معينة وبالتالي السعي إلى قوانين عالمية يمكن تعميمها، أما النظرية السوسولوجية فدورها يتمثل في تفسير الظواهر الاجتماعية وفهم سلوك وأفعال الأفراد كما تقدم للمجتمع تحليل العلاقات الاجتماعية فهي لا تقتصر على تقديم تفسيرات بل تسعى إلى فهم كيفية تكون الأفراد والمجتمعات وتأثيراتها المتبادلة، ومع ذلك نستطيع القول بأن النظرية السوسولوجية بالمعنى العلمي للمصطلح قد نشأت وتطورت منذ

منتصف القرن التاسع عشر، عندما تم النظر إلى المجتمع Society باعتباره كيان له وجود مستقل، وهو في حد ذاته وحدة للتحليل يمكن استخدامها لتفسير الظاهرة الاجتماعية القائمة فيه. لقد قدم العديد من علماء الاجتماع تعريفات للنظرية السوسولوجية فقد عرفها **روبرت ميرتون** على أنها مجموعة من التصورات المترابطة منطقياً، تلك التصورات المحدودة والمتواضعة في نطاقها، وليست الشاملة والمتضمنة لكل شيء. (Robert,1962,p50)

عرفها **رالف داراندر** بأنها مجموعة من القوانين يستخرج منها استنتاجات دقيقة موضوعية لها فاعلية في تفسير وشرح سلوك وتفكير الأفراد، أي أنها مجموعة من القوانين تتميز بالموضوعية تفسر وتشرح سلوك وتفكير الناس من واقعها الحقيقي. (عربي،2000، ص02)

كما يعرفها **تالكوت بارسونز** بأنها نسق نظري يشكل وحدة لمفاهيم مترابطة متساندة منطقياً وبنائياً لها مرجعية امبريقية في الواقع تشكل فيها العلاقات بين الأجزاء إمكانية استنتاج أو استقرار فرضيات جديدة أو تعميمات تعبر عن انتظامات امبريقية. (معين،2009، ص50)

تعريف جود وهات " تشير إلى العلاقات القائمة بين الوقائع أو لتنظيمها بطريقة دالة وذات معنى. "

تعريف برايثوايت " النسق النظري مجموعة من القضايا التي تتخذ تركيباً خاصاً في هذا النسق، بحيث تكون مترابطة منطقياً، ومتميزة بالتدرج المنظم غير المتناقض. وتشير القضايا العامة في النظرية إلى المقدمات أما القضايا المستنبطة فتمثل النتائج. "

تعريف وارد توماس :مجموعة مفاهيم مترابطة بشكل متناسق، مكونة من قضايا نظرية تهتم بشرح قوانين ظاهرة اجتماعية معينة تمت ملاحظتها بشكل منتظم

ما نلاحظه انه لكل رائد من رواد علم الاجتماع تعريفه الخاص لمفهوم النظرية السوسولوجية، الا أنه نستطيع أن نستخلص المكونات الأساسية التي يتفق فيها كل الرواد حول تعريفهم للنظرية وهي:

- 1- النظرية هي نسق منطقي ومعرفي يتكون من قضايا، مفاهيم، تعريفات، افتراضات
- 2- هذا النسق المعرفي يتضمن تصوراً خاصاً عن الواقع الذي يتناوله.
- 3- هذا النسق المعرفي يعمل على توضيح العلاقة بين الوقائع بطريقة دالة.
- 4- هذا النسق المعرفي يبين ويوضح أسباب وظروف تشكل هذا الواقع وأشكاله وأسباب تغييره.
- 5- هذا النسق له بعد وتجذر امبريقي وتجريبي.
- 6- هذا النسق يهدف إلى فهم وتفسير الواقع الاجتماعي.

وعليه فان : تعني النظرية السوسولوجية الاجتهاد في مجال التحليل والتفسير وإيجاد أجوبة تشغل البال تتعلق بالإشكالات البارزة في الساحة الفكرية، تخص ال واقع الاجتماعي في حدود ارتباطاته الجدلية بعالم المادة وعالم الفكر وعالم الممارسة، وفي ضوء ذلك يتعين على هذا الاجتهاد المتخصص أن يروم تحقيقاً أهداف إيجابية نبيلة تعنى بقيمة التوقع والتنبؤ، لغرض التحكم في الظواهر المجتمعية مستقبلاً والمساهمة في بلوغ المجتمع غاية الاستقرار والسعادة والرفاهية .

تعكس النظرية السوسولوجية اتساقاً في البناء المنطقي لفكر اجتماعي يخوض غمار فهم وتفسير واقعا للممارسة لعديد الظواهر التي تشكل صورته الشمولية، كما تعكس اتساقاً بين المنهج وأدواته من جهة وخلفياته من مختلف المنطلقات التصورية (وضعية، ماركسية ووظيفية) من جهة ثانية.

3- أهداف النظرية السوسولوجية

- 1- تهدف النظرية إلى تصنيف وتنظيم الأحداث الاجتماعية بطريقة منسجمة ومنظمة حتى تكون لدينا رؤية واضحة عن الواقع الاجتماعي أو الظاهرة الاجتماعية المدروسة.
- 2- تهدف أيضاً إلى تفسير أو إيجاد العلاقة السببية بين الأحداث والمتغيرات والعناصر التي يتكون منها الواقع الاجتماعي.
- 3- تهدف كذلك إلى تحديد الكيفية أو الطريقة التي يتشكل بها هذا الواقع، وبذلك تستطيع استشراف أو استقراء الواقع الاجتماعي عندما ترى بأن نفس المتغيرات أو العناصر بدأت في التشكل أو في طريقها إلى ذلك.

4- وظائف النظرية السوسولوجية

إن أهداف النظرية ووظائفها تبين لنا أهميتها بالنسبة للدارس أو الباحث في علم الاجتماع، حيث أنها تشكل بالنسبة له المنظار الذي يستكشف به خبايا وأسرار وجزئيات الواقع الاجتماعي المعقد، وبالتالي النظرية تمد الباحث بما يلي:

- 1- تقدم له البيانات والمؤشرات المطلوب رصدها عن طريق هذا المنظار النظري.
- 2- تمكن الباحث من توليد واستنتاج فرضيات جديدة.
- 3- تزود الباحث بالأسس المنطقية التي يمكن أن تربط بها فرضياته.

4-تمد الباحث بالمعاني والصور والقوالب النظرية المجردة التي يفسر بها ويقيم من خلالها الواقع الاجتماعي المدروس.

5-تساعد الباحث على توقع واستشراف الظواهر اللاحقة.

6-النظرية توجه وترشد البحث التجريبي والإمبريقي مما تتضمنه من معالم مجردة.

5- مراحل تطور النظرية السوسولوجية

عرفت النظرية السوسولوجية منذ نشأتها إلى يومنا هذا عدة مراحل متميزة صنفها **الفن جولدنيير** (1920-1980) إلى أربعة مراحل ثم أضيفت إليها فيما بعد المرحلة الخامسة هي:

1-مرحلة الاتجاه الوضعي : ظهر هذا الاتجاه في أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع

عشر، كان رائده الفيلسوف الاجتماعي الفرنسي **أوغست كونت** ، وهو ذلك الاتجاه الفكري الذي ينادي بتطبيق المبادئ العلمية والفكرية المستمدة من العقل الخالص على جميع الظواهر، سواء

كانت طبيعية أو اجتماعية ويرفض في المقابل أحكام الكنيسة ورجال الدين المسجيين والكاثوليكين

التي كانت تعتمد في السابق في تفسير الظواهر الطبيعية والاجتماعية، هذا الاتجاه يقوم على

التوفيق بين تحقيق التقدم والتطور والتغير عن طريق استعمال العلم ومبادئ العقل، وفي نفس

الوقت ينادي بالاستقرار والانسجام والتكامل في المجتمع.

2- مرحلة صياغة النظرية العلمية عن المجتمع : نادى بها **كارل ماركس** والذي وضع قوانين

علمية للمجتمع تقوم على التحليل المادي والاقتصادي للمجتمع، وأطلق عليها قوانين المادية

التاريخية التي استمدها من قوانين المادية الجدلية أو قوانين الجدل المادي.

3- مرحلة النظرية الكلاسيكية: ظهرت في أواخر القرن 19 على يد **إميل دوركايم** و**ماكس فيبر**،

في هذه المرحلة اهتم المفكرون بدراسة الواقع والظواهر الاجتماعية بصورة علمية وموضوعية

وكما هي في الواقع وليس على اعتبار ما يجب أن يكون عليه المجتمع، هذا على الرغم من

الاختلاف النظري والمنهجي الموجود بين منظري هذه المرحلة.

4-مرحلة التوجه البنيوي الوظيفي: ظهر في بداية الثلاثينات من القرن 20 على يد **تالكوت**

بارسونز هذه التوجه قام بالتوليف بين التوجه النظري الوضعي والتوجه الوظيفي الذي كان

يتزعمه **دور كايم** والذي يرى أن سلوك أفراد المجتمع تحكمها العوامل الاجتماعية التي تمارس

قهرها على أفراد المجتمع من الخارج. والتوجه الذي وضعه **بارسونز** يرى أن أفعال الناس

تحكمها الموجهات القيمية والمعارية للفاعل وليس الظاهرة الخارجية.

5-مرحلة علم الاجتماع الحديث : هذا التوجه النظري الحديث أراد أن يقدم لنا نظرية حديثة تتجاوز النظرية البنوية الوظيفية لبرسونز الذي نجح في بناء نظرية توفيقية بين التوجه النفعي الانجليزي الفرنسي والتوجه القيمي الأخلاقي الألماني في تفسير الواقع الاجتماعي الأمريكي ، إلا انه وحسب رواد المرحلة الحديثة، إن هذا الطرح أهمل الفكر الجدلي وبذلك فان النظريات الحديثة قدمت تصورا توفيقيا آخر بين التوجه الوظيفي و التوجه الجدلي مما أنتج لنا في الحقيقة توجهين فرعيين وهما الوظيفية المحدثة التي يمثلها **داهراندوف وجوالندر** واخرون و الماركسية المحدثة التي يمثلها **ميلز وماركوز** وغيرهم .

6-النظرية وعلاقتها بالبحوث الميدانية

من المعروف أنّ النظرية هي نسق معرفي منتظم ومنطقي يمثل تصوراً عقلياً مجرداً للواقع وهذا النسق فيه بيان مفصل للواقع الاجتماعي ومكوناته وارتباطاته البنائية والوظيفية بين هذه المكونات، هذه التفاصيل تراها النظرية كذلك على شكل صورة عامة مجملة للواقع الاجتماعي الشامل، إذن هي ترى صورة الواقع الاجتماعي بإطارها العام الذي يجمع كل التفاصيل وبنفس الوقت هي ترى النسق بتفصيلاته الدقيقة.

- **تحديد البيانات المطلوبة** في البحث الميداني، اقتصادية، اجتماعية، سياسية، ثقافية، شخصية، إذ أنّ البيانات لا بدّ أن تتحدد وفق مفاهيم ومتغيرات تستمد من النظرية وربما قد يكشف الباحث عناصر وبيانات جديدة من خلال بحثه تصبح مصدراً لإثراء النظرية.
- **توليد الفرضيات** إذ يعتمد الباحث على ما هو موجود من نظريات في بناء فرضيات بحثه كلاً أو جزءاً كما تساهم النظرية في تحديد الوقائع وما هي العلاقة بينها، وظروف تشكيل هذه العلاقة، وبذلك تكون النظريات التي تحققت صحتها تعطينا تحديد ما نعرفه وما نحتاج إلى معرفته ولا بدّ أن يؤخذ بعين الاعتبار خصوصية المجتمعات التي تطبق النظرية عليها عندما تكون النظرية مبنية على واقع مجتمع آخر.
- تزويد الباحث بالأسس المنطقية لترابط فرضياته والتي تفترض أنّ تتطابق مع الانتظامات والعلاقات في الواقع الاجتماعي وفق شروط الاتساق المنطقي لمكونات النظرية ويمكن للباحث افتراض علاقات مكونات الواقع بما في ذلك العلاقات بين المتغيرات وعلاقة الأجزاء بالكل.

- تفسير الواقع واستخلاص الاستنتاج، إنَّ الاستنتاج يستخلص من معرفة العلاقات السببية أ والارتباطية بين المتغيرات وما هي ظروف تشكل هذه العلاقة وكذلك يستخلص من تفسير الوقائع الموضوعية وحتى الذاتية أحياناً أو حتى من افتراضات معقولة للواقع، كذلك يعتمد الاستنتاج على التفاعل الاجتماعي الذي استند عليه بالدراسة والتحليل خاصة فيما يتعلق بذات الفرد ومجتمعه المحيط والبيئة الأخرى المحيطة به ويجب أن تغطي الاستنتاجات أسباب وظروف تشكل الوقائع وتغيرها وعلاقة المفاهيم بالوقائع بدقة.
- إنَّ الغاية من النظريات هو خلق وإيجاد معرفة جديدة للانتفاع بها، فهي ليست مجرد تفسير للوقائع ليفهما الناس بل يجب أن يستفاد منها في تطبيقات عملية للنتائج التي تتضمنها ولهذا تستخدم في التخطيط وفي النقد سواء للنظام القائم أو حتى لنظريات أخرى بهدف التصحيح والتقويم أو التغيير، كذلك أفرزت النظرية دوراً بارزاً للباحث أيضاً فأوضحت أنه لا بدّ من أن يكون له موقف من الواقع ودور في إصلاحه أو تغييره.
- المساعدة في التنبؤ، تتضمن النظرية تعريفاً بالواقع وتشكله وأسباب وظروف تغييره وتفترض الانتظام ولو النسبي في الواقع الاجتماعي وترتكز على ذلك في التنبؤ بما يمكن أن يكون عليه هذا الواقع مستقبلاً ولو بنسبة احتمالية لأنه في علم الاجتماع مسألة تنبؤ المستقبل تختلف عما في العلوم الطبيعية من تنبؤ وذلك لتدخل الذات البشرية، علماً أنّ معيار دقّة ومصداقية النظرية يعتمد في قدرتها على التنبؤ.

المحاضرة الثانية : المقاربة البنائية الوظيفية في حقل علم اجتماع التربية

عناصر المحاضرة	1-نشوء النظرية البنوية الوظيفية 2-المبادئ التي تركز عليها النظرية البنوية الوظيفية 3-الاضافات التي قدمها ابرز رواد البنوية الوظيفية 4-الانتقادات التي وجهت للاتجاه البنائي الوظيفي 5-البنائية الوظيفية في حقل علم اجتماع التربية
اهداف المحاضرة	في نهاية هذه المحاضرة سيتوصل الطالب الي التعرف على اهم المبيئ التي تركز عليها البنوية الوظيفية التعرف على ابرز الاضافات التي جاء بها الرواد التعرف على الانتقادات التي وجهت لها التعرف على البنائية الوظيفية في الحقل التربوي

مقدمة

في الحقيقة أن فكرة البناء الاجتماعي ليست فكرة حديثة العهد ، بل أنها تمتد إلى منتصف القرن التاسع عشر عندما ظهرت في كتابات " مونتسكيو " وحينها ظهرت فكرة النسق الاجتماعي على أساس أن مظاهر الحياة الاجتماعية تؤلف فيما بينها وحدة متماسكة متسقة ، وايضا عندما تحدث مونتسكيو عن القانون وعلاقته بالتركيب السياسي والاقتصادي والدين والمناخ وحجم السكان والعادات والتقاليد وغيرها، مما يشكل في جوهره فكرة البناء الاجتماعي (اسماعيل ،1982،ص228) ، ثم ظهرت البنائية والوظيفية بصورة واضحة بشكل علمي في كتابات هيربرت سبنسر في مجال تشبيه المجتمع بالكائن العضوي، فكان سبنسر يؤكد دائماً وجود التساند الوظيفي والاعتماد المتبادل بين نظم المجتمع في كل مرحلة من مراحل التطور الاجتماعي ، والغاية التي كان يهدف إليها هي إيجاد حالة من التوازن تساعد المجتمع على الاستمرار في الوجود ،كما كان سبنسر أيضاً يتصور المجتمع على أنه جزء من النظام الطبيعي للكون وأنه يدخل في تركيبه، ولذا يمكن تصوره كبناء له كيان متماسك (ابوزيد، 1982،ص11) ، وبلغت الفكرة الوظيفية ذروتها في تفكير اميل ديركايم خاصة في مواجهة موضوع الحقائق الاجتماعية التي تمتاز بعموميتها وقدرتها على الانتقال من جيل لآخر، وقدرتها على فرض نفسها على المجتمع والنظم الموجودة فيه، من

سياسية واقتصادية وقانونية وغيرها وتؤلف بناء له درجة معينه من الثبات والاستمرار (ابوزيد، 1982،ص11)

وقد تبني الكثير من علماء الانثروبولوجيا هذه النظرية وأشهرهم رادكليف براون . فهو يرى أن البناء يتألف من كائنات إنسانية وأن كلمة " بناء " تشير بالضرورة إلى وجود نوع من التنسيق والترتيب بين " الأجزاء " التي تدخل في تكوين " الكل " الذي نسميه " بناء " وكذلك يوجد روابط معينة تقوم بين هذه " الأجزاء " التي تؤلف " الكل " وتجعل منه بناء متماسك متميز ، و مقتضى هذا الفهم تكون "الوحدات الجزئية " الداخلة في تكوين " البناء الاجتماعي " هي " الأشخاص " أي أعضاء المجتمع الذي يحتل كل منهم مركزاً معيناً ويؤدي دوراً محدداً في الحياة الاجتماعية ، فالفرد لا يعتبر جزءاً مكوناً في البناء ولكن أعضاء المجتمع من حيث هم " أشخاص " يدخلون كوحدات في هذا البناء ويدخلون في شبكة معقدة من العلاقات ، فرادكليف براون يستخدم مفهوم البناء الاجتماعي بمعنى واسع لأنه يدخل فيه كل العلاقات الثنائية التي تقوم بين شخص وآخر مثل العلاقة بين الأب والابن ، أو العلاقة بين الشعب والدولة وغيرها (ابوزيد، 1982،ص16) ، ولكن ايفانز برتشارد يقف موقف المعارضة من رادكليف براون ويرى أن العلاقات الاجتماعية التي تتميز بالثبات والاستقرار هي التي تدخل في البناء واستبعد العلاقات الثنائية التي ذكرها رادكليف براون، فالعلاقة الثنائية علاقة طارئة مؤقتة قد تنتهي بموت أحد الطرفين . ويستبعد ايفانز برتشارد ايضاً من البناء الزمر الاجتماعية الصغيرة مثلاً لأسرة التي تتكون من جيلين لأنها لا تلبث أن تختفي كوحدة بنائية متميزة، أما الذي يدخل في البناء بالنسبة له فهو الجماعات الكبيرة المتماسكة الدائمة كالقبائل والعشائر التي تستمر في الوجود أجيالاً طويلة رغم ما يطرأ على مكوناتها من تغيرات ، فالبناء عند ايفانز برتشارد يتألف من العلاقات الدائمة التي تقوم بين جماعات من الأشخاص الذي يرتبطون بعضهم ببعض ارتباطاً وثيقاً منظماً (ابوزيد، 1982،ص24) .

يرى رادكليف براون كذلك أن البناء الاجتماعي ليس إلا مجموعة من " الأنساق الاجتماعية " والأنساق هي الأجهزة أو النظم التي تتفاعل فيما بينها داخل إطار البناء الكلي الشامل ، والنسق عبارة عن عدد من النظم الاجتماعية التي تتشابك وتتضامن فيما بينهما في شكل ترتيب منظم ، كما أن النظام عبارة عن قاعدة أو عدة قواعد منظمة للسلوك يتفق عليها الأشخاص وتنظمها الجماعة داخل البناء، فهو يرى أن علاقة النظم بالبناء علاقة ذات شطرين:

1- علاقة النظام بأفراد الجماعة داخلاً

بناء الاجتماعي

2- علاقة النظام بسائر النظم الأخرى التي تتعلق بالنسق وبالبناء الاجتماعي

فمثلاً النسق القرابي يتألف من عدد من النظم المتعلقة به كنظام التوريث والنظام الأبوي والنظام الأموي وهكذا، ومن مجموعة الأنساق القرابية والاقتصادية والسياسية والعقائدية وغيرها يتألف البناء (اسماعيل، 1982، ص235).

ويميز راد كليف براون بين " الصورة البنائية " و " البناء الواقعي " . " فالصورة البنائية هي الصورة العامة أو السوية لعلاقة من العلاقات بعد تجريدها من مختلف الأحداث الجزئية ، رغم إدخال هذه التغيرات في الاعتبار ، أما البناء الواقعي فهو البناء من حيث هو حقيقة شخصية وموجودة بالفعل ويمكن ملاحظتها مباشرة ، والبناء الواقعي يتغير بسرعة واستمرار بعكس الصورة البنائية التي تحتفظ بخصائصها وملامحها الأساسية بدون تغير لفترات طويلة من الزمن وتتمتع بدرجة من الاستقرار والثبات .

هذا بالنسبة للبناء أما الوظيفة كما ذكرها العلماء الوظيفيون ، هي الدور الذي يلعبه الجزء في الكل، أي النظام في البناء الاجتماعي الشامل، أي أن درجة الاستمرار والاطراد في البناء هي التي تحقق وحدته وكيانه، ولا يمكن أن تتم إلا بأداء وظيفة هذا البناء أي الحركة الديناميكية المتمثلة في الدور الذي يلعبه كل نظام أو نسق في داخل البناء، فالوظيفة في البناء هي التي تحقق هذا التساند والتكامل بين أجزائه بحيث يفقد النسق أو البناء الاجتماعي معناه المتكامل لو انتزع من نظام ما (ابو زيد، 1982، ص18)

أما راد كليف براون فيرى أن فكرة الوظيفة التي تطبق على النظم الاجتماعية تقوم على المماثلة بين الحياة الاجتماعية والحياة البيولوجية، فالوظيفة هي الدور الذي يؤديه أي نشاط جزئي في النشاط الكلي الذي ينتمي إليه، وهكذا تكون وظيفة أي نظام اجتماعي هي الدور الذي يلعبه في البناء الاجتماعي الذي يتألف من أفراد.

ومن التعريفات الشهيرة للوظيفة ذلك الذي قدمه ميرتون حيث قال : إنها تلك النتائج أو الآثار التي يمكن ملاحظتها والتي تؤدي إلى تحقيق التكيف والتوافق في نسق معين (تيماشيف، ص331) ، والوظيفة قد تكون ظاهرة أو كامنة ، أي ليس بالضرورة أن يكون لكل ظاهرة وظيفة أو وظائف واضحة أو مقصودة ولذلك على الباحث الاجتماعي أن يبحث عنها من خلال تحليل المناشط الاجتماعية.

ويعتبر بارسونز مفهوم الوظيفة اساسيا لفهم أي نسق من الأنساق الاجتماعية ، فالوظيفة تمثل النتيجة المنطقية لمفهوم النسق فهي توضح طبيعته وتعمل على تكيفه مع بيئته .

ظهرت النظرية البنوية الوظيفية في اعقاب ظهور كل من البنوية الاجتماعية علي أيدي كل من **كلاودس ليفي سترانس** و **كولدون ويزير** وعندما نشر العالمان كتابي ابنية القرابة والطوطمية على التوالي ، اما الوظيفية فقد ظهرت على ايدي كل من **ماكس فيبر** و **اميل دوركايم** و **وليم كراهام سمير** في مؤلفاتهم الم نشره الدين والاقتصاد وتقسيم العمل في المجتمع وطرق الشعوب، علما بأن ظهورها كان كرد فعل للتراجع والضعف والاختفاق الذي منيت به كل من البنوية و الوظيفية لكون كل منهما احادية الجانب ، ذلك ان البنوية تفسر المجتمع والظاهرة الاجتماعية وفقا للاجزاء والمكونات والعوامل المفردة التي يتكون منها البناء الاجتماعي، بعيدا عن وظائف هذه الاجزاء والنتائج المتمخضة عن وجودها ، في حين ان الوظيفة تفسر الظاهره الاجتماعية تفسيراً يأخذ بعين الاعتبار نتائج وجودها وفعاليتها بعيدا عن بنائها والاجزاء التي تتكون منها، لهذا ظهرت النظرية البنوية الوظيفية لتنتظر الى الظاهرة او الحادثة الاجتماعية على انها وليدة الاجزاء او الكيانات البنوية التي تظهر في وسطها ، وان لظهورها وظيفة اجتماعية لها صلة مباشرة او غير مباشرة بوظائف الظواهر الاخرى المشتقة من الاجزاء الأخرى للبناء الاجتماعي، علما بأن النظرية البنوية الوظيفية قد ظهرت في القرن التاسع عشر على يد العالم الاجتماعي البريطاني هربرن سبنسر ثم ذهبت الى امريكا فطورها هناك كل من تالكوت بارسونز وروبرت ميرتون وهانز كيرث وسي ورايت ملز.

1- نشوء النظرية البنوية الوظيفية

يرتبط نشوء النظرية البنوية الوظيفية بالفكر الوضعي اذ كانت النزعة الوضعية منذ بداية القرن التاسع عشر مؤيدة للعلم ومعارضة للميتافيزيقيا التقليدية, اذ ان تأييدها للعلم والمنطق التجريبي كان يستند على فكره الوصول الى القوانين التي تخضع لها الوقائع والظواهر الاجتماعية.لذا اكدوا على فكرة العلم الطبيعي خاصة علم الاحياء وأهميته في دراسة المجتمع، فعلم الاحياء يدرس تراكيب ووظائف الكائن الحيواني او النباتي الحي.ومثل هذه الدراسة يمكن الاستفادة منها في تحليل المجتمع البشري الذي هو الاخر الذي يتكون من اجزاء تسمى بالانظمة التي لها وظائف يكمل بعضها البعض الآخر.

إن البنيويين الوظيفيين يعتقدون بأن بناء أي كائن عضوي عبارة عن ترتيب او تنظيم ثابت نسبيا من العلاقات القائمة بين الخلايا المختلفة للكائن ، أما عن ماهية الدعاوى الاساسية لظهور الاتجاه البنيوي الوظيفي فهي مختلفة بين دعاوى علمية ودعاوى اديولوجية وسياسية.

لقد ظهر الاتجاه البنيوي الوظيفي استجابة لحاجة عدد من الباحثين في علمي الاجتماع والانثروبولوجيا نحو تطوير ادوات واساليب نظرية ومنهجية تتواءم ودراسة الصور المختلفة للترابطات الاجتماعية والتفاعل بين السمات والجماعات والنظم داخل النسق الاجتماعي الكبير الذي يكتنف الانساق الفرعية. اما المنحى الاخر للفكر البنيوي الوظيفي فقد كان استجابة لدعاوى ايدولوجية وسياسية اذ ارادت ان تناهض علم الاجتماع الماركسي وتضرب الطوق والعزلة الفكرية والسياسية على السياق التاريخي المادي الذي تشأ وترعرع فيه.

لقد ظهرت النظرية البنيوية الوظيفية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، وكانت بمثابة رد فعل للمعوقات والانتقادات والمشكلات التي وجهت لكل من النظرية البنيوية والنظرية الوظيفية ، إن النظرية البنيوية الوظيفية جاءت لتكمل الاعمال التي بدأت بها كل من البنيوية والوظيفية. ذلك ان النظرية البنيوية الوظيفية تعترف بأن لكل مجتمع أو مؤسسه أو منظمة بناء والبناء يتحلل إلى أجزاء وعناصر تكوينية، ولكل جزء أو عنصر وظيفة تساعد على ديمومة المجتمع أو المؤسسة أو المنظمة لذا فالفكر البنيوي الوظيفي يعترف ببناء الكيانات أو الوحدات الاجتماعية ويعترف في الوقت ذاته بالوظائف التي تؤديها الاجزاء والعناصر الاولية للبناء او المؤسسة ووظائف المؤسسة الواحدة لبقية المؤسسات الاخرى التي يتكون منها المجتمع علما بأن النظرية البنيوية الوظيفية تعتمد على النظرية البايولوجية التي جاء بها جارلس دارون في كتابة أصل الأنواع إذ أن "جارلس دارون" تناول دراسة الأجزاء التي يتكون منها الكائن العضوي والترابط بينها ودرس وظائفها للكائن العضوي ككل.

لقد استفاد علماء الاجتماع البنيويون الوظيفيون من الافكار البايولوجية والعضوية التي جاء بها دارون عند دراسته للكائن الحيواني من حيث البناء والوظيفة والتطور، ذلك ان للمجتمع بناء ووظيفة وان هناك تكاملا بين الجانب البنيوي للمجتمع والجانب الوظيفي إذ أن البناء يكمل الوظيفة والوظيفة تكمل البناء، فكيف يمكن التحدث عن البناء دون ذكر وظائفه ، وكيف يمكن التحدث عن وظائف الجماعات والكيانات دون تناول بنائها ،وهنا يقول تالكوت بارسونز في كتابة النسق الاجتماعي "لا بناء بدون وظائف اجتماعية ولا وظائف بدون بنائ اجتماعي". وهذا يدل على وجود

علاقة متفاعلة بين البناء والوظيفة ، وان هناك درجة عالية من التكامل بينهما ، اذ لانستطيع الفصل مطلقا بين البناء والوظيفة. وبناء على هذه المسلمة نستطيع توجيه الانتقاد المر الى النظرية البنيوية والى النظرية الوظيفية . فالبنوية ترى بأن ماهو موجود هو البناء و الأجزاء التركيبية للبناء ، بينما ترى الوظيفية بأن ماهو موجود هو الوظائف التي تفيد المجتمع وليس البناء . إن كلاما أحاديا كهذا دفع بالبنيويين الوظيفيين إلى الربط العلمي الغائي بين الوظيفة والبناء اذ لا بناء بدون وظيفة ولا وظيفة بدون بناء. أما علماء الاجتماع الذين درسوا البناء والوظيفة جنبا الى جنب دون التحيز الى ركن دون الركن الاخر فهم العلامة ابن خلدون وهربرت سبنسر وتالكوت بارسونز وروبرت ميرتون وهانز كيرث وسي رايت ملز وجون ريكس وكينكزلي ديفيز وغيرهم . من المؤكد ان الاتجاه البنيوي الوظيفي قد ظهر في علم البايولوجي وفي علم النفس وفي علم الانثروبولوجي الثقافي قبل ان يظهر في علم الاجتماع. فعلم البايولوجي يعتقد بأن الكائن العضوي الحي يتكون من اجزاء او تراكيب بنيوية، ولهذه الاجزاء او التراكيب وظائفها، والوظائف هذه تساعد على بقاء وديمومة الكائن العضوي الحي ، واستعمال الاتجاه البنيوي الوظيفي في علم النفس في بداية القرن العشرين عندما ظهرت ادوات تحليلية مختلفة تحاول ان تصف بدقة الاجزاء او العناصر التي تتكون منها العمليات العقلية كالارادة والانفعال والدافع والاحساس والادراك..... الخ ، غير ان الاتجاه البنيوي الوظيفي لم يعين الوحدة الاساسية التي تربط العناصر الفرعية بيد انه في العشرينات والثلاثينات ظهرت نظرية الجشطات التي تعتقد بأن أي عنصر من عناصر العملية العقلية يجب ان يدرس في ضوء الكل الذ تتكون منه الاجزاء او العناصر على الرغم من وجود الاختلافات بين الكل والاجزاء . واستثمر علم الاجتماع فكرة البناء والوظيفة في دراسة للمجتمعات والجماعات والمؤسسات والمنظمات فالمؤسسة أو النسق الفرعي له بناء يتحلل إلى عناصر بنيوية يطلق عليها الأدوار ، ولكل دور وظيفة ، وهذه الوظائف مكملة بعضها لبعض ، ذلك أن التكامل يكون بين البنى وبين الوظائف كما تعتقد النظرية البنيوية الوظيفية .

2- المبادئ التي تركز عليها النظرية البنيوية الوظيفية

تعتقد النظرية البنيوية الوظيفية التي كان روادها كل من هربرت سبنسر وتالكوت بارسونز وروبرت ميرتون و هانز كيرث وسي رايت ملز بعشره مبادئ اساسية متكاملة ، كل مبدأ يكمل المبدأ الاخر . وهذه المبادئ هي **على النحو الاتي:**

1. يتكون المجتمع أو المجتمع المحلي أو المؤسسة أو الجماعة مهما يكن غرضها وحجمها من أجزاء ووحدات مختلفة بعضها عن بعض وعلى الرغم من اختلافها إلا أنها مترابطة ومتساندة ومتجاوبة واحدها مع الأخرى.
2. المجتمع أو الجماعة أو المؤسسة يمكن تحليلها تحليلاً بنيوياً وظيفياً إلى أجزاء وعناصر أولية، أي أن المؤسسة تتكون من أجزاء أو عناصر لكل منها وظائفها الأساسية.
3. إن الأجزاء التي تحلل إليها المؤسسة أو المجتمع أو الظاهرة الاجتماعية إنما هي أجزاء متكاملة، فكل جزء يكمل الجزء الآخر وإن أي تغيير يطرأ على أحد الأجزاء لا بد أن ينعكس على بقية الأجزاء وبالتالي يحدث ما يسمى بعملية التغيير الاجتماعي، من هنا تفسر النظرية البنوية الوظيفية التغيير الاجتماعي بتغيير جزئي يطرأ على أحد الوحدات أو العناصر التركيبية، وهذا التغيير سرعان ما يؤثر في بقية الأجزاء إذ يغيرها من طور إلى طور آخر.
4. إن كل جزء من أجزاء المؤسسة أو النسق له وظائف بنيوية تابعة من طبيعة الجزء، وهذه الوظائف مختلفة نتيجة اختلاف الأجزاء أو الوحدات التركيبية، وعلى الرغم من اختلاف الوظائف فإن هناك درجة من التكامل بينها، لذا فوظائف البنى المؤسسية مختلفة ولكن على الرغم من الاختلاف فإن هناك تكاملاً واضحاً بينهما، فمثلاً وظيفة المدرس أو الأستاذ في المؤسسة التربوية تختلف عن وظيفة الطالب، ولكن وظائف كل منهما تكمل بعضها البعض، فالأستاذ لا يستطيع أداء وظائفه التعليمية والتربوية دون أن يكون هناك طلبة كما أن الطالب لا يستطيع تلقي العلوم والمعرفة والتربية دون أن يكون هناك مدرس، لذا فالاختلاف والتفاضل في المراكز هو شيء وظيفي للتماسك والتكافل الاجتماعي في المؤسسة التربوية أو التعليمية.
5. الوظائف التي تؤديها الجماعة أو المؤسسة أو يؤديها المجتمع إنما تشبع حاجات الأفراد المنتمين أو حاجات المؤسسات الأخرى، والحاجات التي تشبعها المؤسسات قد تكون حاجات أساسية أو حاجات اجتماعية أو حاجات روحية.
6. الوظائف التي تؤديها المؤسسة أو الجماعة قد تكون وظائف ظاهرة أو كامنة أو وظائف بناءة أو وظائف هدامة.

7. وجود نظام قيمي او معياري تسيير البنى الهيكلية للمجتمع أو المؤسسة في مجاله . فالنظام القيمي هو الذي يقسم العمل على الافراد ويحدد واجبات كل فرد وحقوقه, كما يحدد اساليب اتصاله وتفاعله مع الاخرين . اضافة الى تحديد ماهية الافعال التي يكافأ عليها الفرد او يعاقب

8. تعتقد النظرية البنوية الوظيفية بنظام اتصال او علاقات انسانية تمرر عن طريقه المعلومات والايجازات من المراكز القيادية الى المراكز القاعدية او من المراكز الاخيرة الى المراكز القيادية

9. تعتقد النظرية البنوية الوظيفية بنظامي سلة ومنزلة . فنظام السلطة في المجتمع او المؤسسة هو الذي يتخذ القرارات ويصدر الايعازات والاورامر الى الادوار الوسطية او القاعدية لكي توضع موضع التنفيذ , فهناك في النظام ادوار تصدر الاوامر وهناك ادوار تطيعها . اما نظام المنزلة فهو النظام الذي يقضي بمنح الامتيازات والمكافآت للمعلمين الجيدين لشدهم والاخرين من زملائهم الى العمل الذي يمارسونه , علما بأن الموازنة بين نظامي السلطة والمنزلة هي شيء ضروري لديمومة وفاعلية المؤسسة او النظام او النسق .

ورغم تعدد آراء العلماء حول مفهوم الوظيفة إلا أنهم يجمعون فيما بينهم على بعض القضايا التي تشكل في جملتها الصياغة النظرية للوظيفية في علم الاجتماع، وقد حصر " فان دن برج " هذه المفاهيم في سبعة قضايا هي :

1- النظرة الكلية للمجتمع باعتبارها نسقا يحتوي على مجموعة من الأجزاء المتكاملة.

2- رغم أن التكامل لا يكون تاما على الإطلاق إلا أن الأنساق الاجتماعية تخضع لحالة من التوازن الديناميكي.

3- أن التوازن والانحرافات والقصور الوظيفي يمكن أن يقوم داخل النسق .

4- يحدث التغير بصفة تدريجية تلائميه .

5- يأتي التغير من مصادر ثلاثة تتمثل في تلاؤم النسق وتكيفه والنمو الناتج عن الاختلاف الوظيفي والتجديد والإبداع .

6- العامل الأساسي في خلق التكامل الاجتماعي تتمثل في الاتفاق على القيم (السيد علي ، 1993 ،

ص304)

3: الاضافات التي قدمها ابرز رواد البنيوية الوظيفية :

في هذا المبحث نود التطرق الى الاضافات العلمية التي وهبها ابرز البنيويون الوظيفيون لنمو وتطور النظرية البنيوية الوظيفية , ومن هؤلاء : هربرت سبنسر ، تالكوت بارسونز . روبرت ميرتون

-الاضافات التي قدمها هربرت سبنسر للنظرية البنيوية الوظيفية:

النظرية العضوية التي جاء بها هربرت سبنسر في كتابه مبادئ علم الاجتماع ، هي التي تفسر افكاره حول البنيوية الوظيفية ، فالنظرية البايو اجتماعية التي ابتدعها هربرت سبنسر (1820-1903) تقارن الكائن الحيواني الحي بالمجتمع من حيث الاجزاء والوظائف والتكامل بين الاجزاء والوظائف للكائنين الحيواني والاجتماعي

لقد اجرى سبنسر مماثلة بين الكائن الحيواني والمجتمع ، فالكائن الحيواني كجسم الانسان مثلا يتكون من اجهزة واعضاء كالجهاز العصبي والجهاز الهضمي والجهاز الدموي والجهاز العضلي والجهاز العظمي والجهاز التنفسي... الخ. وبجانبا الاجهزة العضوية للكائن الحيواني الحي هناك الاعضاء كالقلب والرئتين والمعدة واليد والرجل والعين واللسان والاذن... الخ. علما بأن سبنسر قد حلل او شرح الجهاز العظمي الى مجموعة خلايا عضوية ، ولكل خلية واجباتها وحقوقها .

اما الكائن الاجتماعي الذي شبهه هربرت سبنسر بالكائن العضوي فيتكون من مجموعة مؤسسات او نظم اجتماعية فرعية كالنظام الاقتصادي والنظام السياسي والنظام الديني والنظام التربوي والنظام الاسري والقرابي ونظام العسكري ، والنظام الواحد يتحلل الى ادوار كتحليل النظام الاقتصادي الى ادوار قيادية ووسطية وقاعدية وان لكل دور واجبات وحقوق اجتماعية .

ولم يكتف سبنسر بدراسة اجزاء الكائن الحيواني ومقارنتها بأجزاء المجتمع ، بل ذهب الى ابعاد من ذلك ، اذ اشار ان لكل جزء من اجزاء المجتمع وظائف ه التي تساعد على ديمومة وبقاء الكائن الاجتماعي ، مثله في ذلك الوظائف التي يقدمها الجهاز العضوي لديمومه وبقاء الكائن الحيواني ، ذلك ان للجهاز العظمي ووظائفه البايولوجية وللجهاز العضلي ووظائفه البايولوجية وهكذا.

وتناول سبنسر ايضا في دراسته البايو اجتماعية التكامل بين اجزاء المجتمع والتكامل بين وظائفه اذ اشار بأن المؤسسة الاقتصادية تكمل المؤسسة الدينية وان المؤسسة الاخيرة تكمل المؤسسة الاسرية والقرابية وهكذا ، كما اضاف بأن وظائف الكائن الاجتماعي مكمل بعضها

لبعض، اذ ان الوظائف الاقتصادية للمجتمع تكمل الوظائف العسكرية ، والوظائف الاخيرة تكمل الوظائف التربوية ، وهنا اكد سبنسر على موضوع التفاضل والتكامل لأجزاء المجتمع او اجزاء الكائن الحيواني الحي ، فبالرغم من تفاضل اجزاء المجتمع فانها تكون متكاملة أي ان كل جزء يكمل الجزء الاخر.

-الاضافات التي قدمها تالكوت بارسونز للبنىوية الوظيفية وتطورها:

ظهرت الاضافات التي قدمها تالكوت بارسونز (1902-1979) لنمو وتطور النظرية البنوية الوظيفية في مؤلفيه (النسق الاجتماعي) ذلك ان بارسونز يعد من قادة النظرية البنوية الوظيفية في القرن العشرين.

ان نظرية الحدث التي بلور معالمها بارسونز تدرس الانساق الثلاثة وهي الثقافة والشخصية والنظام الاجتماعي ، علما بأن التكامل الموضوعي بين الانساق الثلاثة يعني بأن الثقافة لا يمكن فهمها الا عن طريق الشخصية والنظام الاجتماعي، وان النظام الاجتماعي لا يمكن فهمه بدون فهم ودراسة واستيعاب الثقافة والشخصية، بيد ان البنوية الوظيفية البارسونية تكمن في النسق او النظام الاجتماعي الذي درسه بارسونز دراسة بنوية وظيفية، اذ اكد ذلك عن طريق الخطاب الذي القاه امام الجمعية الامريكية للاجتماعيين عام 1947 عندما كان رئيسها اذ اشار الى ضروره ايجاد نظرية بنوية وظيفية تخدم ثلاثة اغراض رئيسية هي:

1. تحديد الضرورات الوظيفية للنظام الاجتماعي
2. تحديد المتطلبات الوظيفية للنظام
3. تحليل المجتمع الى عناصره الاولى وفق نظرية تكامل الانساق الثلاثة

فالضرورات الوظيفية للنظام الاجتماعي هي:

1. قابلية النظام على تكيف نفسه للانظمة الاخرى وللبيئة الطبيعية التي وجد فيها
2. تحقيق الاهداف الرئيسية للنظام
3. ابلية النظام على تحقيق الوحدة بين اعضائه
4. قدرته على المحافظة على الاستقرار والانسجام

اما المتطلبات الوظيفية للنظام الاجتماعي فهي:

1. تحقيق وتهيئة الظروف الاساسية التي تساعد النسق الاجتماعي على البقاء والاستمرار والتطور ، ومن هذه الظروف تنشئة الاطفال وتزويدهم بالمهارات والقابليات والقيم التي يعتز بها المجتمع

2. وجود لغة مشتركة تساعد على التفاهم والاتصال بين الافراد والجماعات

3. طريقة توزيع الادوار الاجتماعية على بناء المجتمع او الجماعة

4. توزيع المكافآت والامتيازات والحقوق على الافراد بطريقه تعتمد طبيعة الواجبات التي يقومون بها

إن لكافة النظم الاجتماعية كالدولة والأسرة والجامع والكنيسة والاحزاب السياسية والسلطات والجماعات الضاغطة... الخ ، وظائف اجتماعية مهمة تساعد النظام على تحقيق أهدافه وطموحاته ، وتنتج في توازن وتكامل أجزاءه البنوية ، علما بأن النظرية البنوية الوظيفية التي درسها بارسونز وطورها انما هي منهج لتفسير الظواهر الاجتماعية والسياسية من خلال الكشف عن طبيعة وظائفها وقدرتها على تحقيق الاهداف والطموحات.

الاضافات التي قدمها روبرت ميرتون في البنائية الوظيفية

يعد مقال روبرت ميرتون "الوظيفية الامبريقية المتوسطة و الموظفين الجدد" اهم نقد قدمه ميرتون للوظيفية في علم الاجتماع ، حيث انتقد ثلاث مسلمات يتصف بها التحليل الوظيفي هي:

1. **الوحدة الوظيفية للمجتمع** : ترى هذه المسلمة ان كل العقائد والممارسات الثقافية

والاجتماعية تؤدي وظيفة واحدة لكل من الافراد والمجتمع ، كما تعتقد ان اجزاء النسق الاجتماعي تتمتع بدرجة عالية من التكامل ، وفي هذه النقطة بالذات يشير ميرتون الى صحتها ولكن بالنسبة للمجتمعات البدائية الصغيرة ، وليس بالنسبة للمجتمعات الكبيرة المعقدة، لذا ينبغي عدم تعميم هذه المسلمات.

2-**الوظيفية الشاملة** : تعني هذه المسلمة ان كل الاشكال والبنى الثقافية والاجتماعية في

المجتمع تقوم بوظائف ايجابية، ويرى ميرتون ان هذا قد يكون مخالفا لواقع الحياة ، اذ ليس بالضرورة ان تكون كل بنية او تقليد او عقيدة تتصف بوظائف ايجابية، ومن واقع المجتمعات العربية فإن فكرة الوحدة العربية على سبيل المثال ربما لا تصمد في بعض الأح يان امام الفكرة الوطنية التي تسعى الى ابراز الهوية الوطنية على حساب الهوية القومية.

3- ضرورة وجود الاجزاء: ترى هذه المسلمة ان الاجزاء المكونة للمجتمع لا تقوم بوظائف ايجابية فحسب، بل هي تمثل عناصر ضرورية لعمل المجتمع ككل ، وهذا يعني ان البنى الاجتماعية والوظائف ضرورية بالنسبة لمسيرة المجتمع الطبيعية ، أي انه ليس هناك بنى ووظائف اخرى قادرة على القيام بمسيرة المجتمع كالوظائف القائمة الان.

وحسب ميرتون المتأثر بأستاذه بارسونز لابد من الاعتراف بوجود عدة بنى ووظائف داخل نفس المجتمع، فمشروعية النقد يتلخص بطموح نحو نظرية امبريقية متوسطة اكثر شمولية واقدر على تفسير الاحداث من الوظيفية التقليدية التي يعتبرها ميرتون جزئية وسطحية وغير قادرة على التفسير.

يرى ميرتون ان المسلمات الثلاثة السابقة لاتستند الى معطيات امبريقية بقدر ما هي مجرد افكار وانساق نظرية بحتة، في حين ان واجب عالم الاجتماع فحص مدى مصداقية كل منها امبريقيا لماذا ؟ لان الاختبار الامبريقي وليس المقالات النظرية هو الذي يمكن التحليل الوظيفي من التوصل الى ارساء منظور او باراديقم او شكل تحليل يكون بمثابة مرجع لتكامل النظرية مع البحث الامبريقي.

لذا يرى ميرتون ان التحليل الوظيفي ينبغي ان يدرس ظواهر محدودة ، مثل الادوار الاجتماعية ، الانماط المؤسسية ، العمليات الاجتماعية ، الانماط الثقافية ، البنية الاجتماعية وادوات الضبط الاجتماعي، ومن الواضح ان ميرتون أولى اهمية للدراسات الامبريقية في النظرية الوظيفية بدلا من التركيز على الدراسات النظرية لظواهر محدودة كجنوح الاحداث، أو مدى علاقة ادوات الضبط الاجتماعي في الانحراف وما اذا كانت الانحرافات ناجمة عن خلل في التنشئة الاجتماعية او المنظومة القيمية والمعيارية.

كما ان ميرتون فرق بين “ الدور “ الذي يعالج فكرة الصراعات في المجتمع ويزداد تنوعا وتخصصا في المجتمعات المعقدة وبين الوظيفية، فالفرد مثلا يمكن ان يؤدي ادوارا معقدة ومتخصصة، ولكنه يعجز عن القيام بكل الوظائف، لهذا تبرز فكرة التخصص في الادوار عوضا عن القيام بشتى الوظائف.

يومن ميرتون بأن العناصر الاجتماعية يمكن ان تكون لها انعكاسات سلبية ، ولاصلاح هذا السهو الخطير في النظرية الوظيفية ، لجأ ميرتون الى استعمال مفهوم “ الاختلال الوظيفي.” اذ يرى ميرتون ان البنى والتنظيمات الاجتماعية مثلما تساهم في الحفاظ على

الاجزاء الاخرى للنسق الاجتماعي للمجتمع ، مثلما يمكن ان تكون لهما انعكاسات سلبية ايضا، مثال كان للنظام العبودي في الولايات المتحدة أثارا ايجابية على المواطنين البيض لا سيما فيما يتعلق بتوفير الايدي العاملة الرخيصة التي ساعدت على تحسين اقتصاد القطن وحسنت من المكانة الاجتماعية للبيض ، غير ان لهذه الميزة العنصرية أثارا سلبية جعلت السكان الجنوبيين في الولايات المتحدة يعتمدون كثيرا على الاقتصاد الزراعي مما أبقاهم غير مؤهلين "مهيين" لتقبل التصنيع ، فالفروق بين سكان الشمال وسكان الجنوب الامريكي يمكن ارجاعه الى العوق الوظيفي للنظام العبودي في الجنوب ، ففي حين أدى النظام العبودي وظيفة النمو الاقتصادي والاجتماعي في الشمال ، نراه أعاق عملية التقدم الاقتصادي في الجنوب.

قسم ميرتون الوظائف في المجتمع الى نوعين :

- **الوظائف الظاهرة:** وهي التي ترمي الى تحقيقه التنظيمات الاجتماعية .مثلا بأن تكون الجامعات مخصصة للدراسة والبحث العلمي والخدمة الاجتماعية.

- **الوظائف غير الظاهرة :** وهي التي لاتأخذ التنظيمات الاجتماعية بالحسبان تحقيقها او العمل لاجلها ، كأن تمارس الجامعة وظائف سياسية او اقتصادية او تمثل فضاءات اجتماعية للتسلية والترفية وازاعة الوقت او تحقيق مكانات اجتماعية ... الخ

الاضافات التي قدمها اميل دوركاين في البنائية الوظيفية

يميل دوركايم الى جعل مفهوم الوظيفة مفهوما نسبيا خاليا من الحتمية ،فاذا لم يكن من الضروري اعتبار كل وظيفة تعبير عن حاجة الجسم، فليس من الضروري ايضا أن تكون لكل حاجة وظيفة في الجسم ،فما هي أسباب هذه النسبية الوظيفية لدى دوركايم ؟

ثمة ثلاثة اسباب تفسر النسبي عند دوركايم :

-يريد دوركايم ان يحتكر تأسيس العلم الجديد لذا لن يكون بإمكانه تبني نفس التعريفات التي نجدها عند كلا من كونت و سيمون و سبنسر،ولايجب ان ننسى ايضا أن دوركايم يعتبر الكونتية ضربا من ضروب الفلسفة المجردة، في حين انه يدعي لنفسه تأسيس العلم الجديد .

-رغب دوركايم أن يتميز في اطروحاته عن كونت مبينا إن علم الاجتماع لا يقوم على مبدأ الحتمية ولايستند اليها .

-أراد دوركايم أن يتخلص من هذه المرجعيات غير الاجتماعية ، وأن تكون للظاهرة الاجتماعية مرجعيتها المحضة وليست المرجعية البيولوجية أو الطبيعية .في المقابل بدأ المجتمع عند كونت و سبنسر على أنه كلية اجتماعية ، وعليه فإن الحياة الاجتماعية والحياة العضوية ستكونان خاضعتين لنفس القانون ، قانون التطور .

-أراد دوركايم ان يقصي العلوم البيولوجية والطبيعية من أي تأثير في علم الاجتماع ، وحرص على استقلاله والحد من تدخل علوم البيولوجيا فيه ، لذا ستتخذ الوظيفة عند دوركايم منحى آخر غير التطابق وهو المنحى المعرفي .

-يعتبر دوركايم ان الممارسة السوسولوجية لا ينبغي ان تعتمد على الحتمية لذا يؤكد على نسبية الوظيفة “ فليس الشعور بالحاجة يستوجب الوظيفة .

إن اهتمام دوركايم بالوقائع الاجتماعية جعله يهتم أيضا بالاجزاء المكونه للنسق الاجتماعي من جهة، وعلاقات الاجزاء ببعضها البعض ، ومن ثم تأثيرها على المجتمع ، ففي حديثه عن الوقائع الاجتماعية وجد نفسه مضطرا لإعطائها اهمية كونها تندرج في اطار في بنى ومؤسسات سعى دوركايم إلى البحث عنه.

اعتنى دوركايم كثيرا بالبنى والوظائف وعلاقاتها بحاجيات المجتمع ، وهذا يعني اهتمامه بالبنية والوظيفة كعنصرين هامين في التحليل السوسولوجي .

من أهم الامور التي قام بها دوركايم تمييزه بين مفهومين هما “ السبب الاجتماعي “ و “ الوظيفة الاجتماعية . “ إذ أن دراسة “ السبب الاجتماعي “ سيعني الاهتمام بمبررات وجود البنية ، اما دراسة “ الوظيفة الاجتماعية “ فستعني الاهتمام بحاجيات المجتمع الكبيرة وكيفية تلبيتها من طرف بنية معينة .

رفض دوركايم رفضا قاطعا فكرة اسطورية الدين ، واكد في المقابل على انه ظاهرة عالمية وبالتالي لابد وان تكون له وظيفة في المجتمعات البشرية ، فمن بين وظائف الدين عند دوركايم وابن خلدون العمل على توحيد الناس وخلق روح التضامن الاجتماعي بينهم ، عن طريق القيم الثقافية والاعتقادات الدينية التي يدعو اليها هذا الدين او ذاك .

4- الانتقادات التي وجهت للاتجاه البنائي الوظيفي :

1. لقد انصب التركيز على الجوانب الثابتة من النسق الاجتماعي اكثر من الاهتمام بالابعاد الديناميكية المتغيرة, وكانت الابعاد الثقافية للنسق الاجتماعي اكثر استخداما في التفسير من غيرها من مكونات النسق
2. المبالغة في محاكاة نموذج العلوم الطبيعية, وخاصة نموذج علوم الحياة , وكأن النسق الاجتماعي كائن عضوي تحكمة نفس القوانين التي تحكم حركة الكائنات الحية
3. يؤخذ على الاتجاه البنائي الوظيفي انه احادي النظرة,بمعنى انه لايرى ويبحث في النسق الاجتماعي الا ابعاد التوازن والوظائف وتحقيق الاهداف, فلا يهتم بتحليل ابعاد اخرى مثل ابعاد التغيير والاضطراب والامراض والمشكلات الاجتماعية
4. استبعاد فكرة التغيير الاجتماعي وخاصة الجذري والشامل , وحتى وان اعترف النموذج البنائي الوظيفي بشيء من التغيير الاجتماعي النابع من عوامل كائنة داخل النسق , فانه لايعطي أي اهتمام, بل لا يهتم مطلقا بالتغيير الاجتماعي الذي يتم بفعل عوامل من خارج النسق الاجتماعي
5. همل الاتجاه البنائي الوظيفي فكرة الصراع الاجتماعي, مع ان هذا المتغير اساسي في فهم تغيير وتطور المجتمعات الانسانية الصناعية والنامية منها على حد سواء
6. صعوبة اختبار كثير من المفاهيم والتصورات والقضايا التي يستند اليها الاتجاه البنائي الوظيفي في فهم المجتمع
7. لايطرح اسئلة رئيسية وجذرية حول غاية الفعل الاجتماعي, فهو يهتم فقط بنتائج الفعل واستمراره دون النظر في مضامينه وغاياته البعيدة

5- البنائية الوظيفية في حقل علم اجتماع التربية

تشغل هذه النظرية حيزا كبيرا من الفكر السوسيولوجي حيث اهتمت بدراسة المشكلات والظواهر التربوية في المؤسسات التعليمية التي تفاقمت في ا لمجتمع، هذه الظواهر أو الحوادث التربوية هي وليدة الأجزاء أو الكيانات البنوية التي تظهر ، على هذا يمكن النظر في طبيعة وسطها وأن لظهورها وظيفة اجتماعية لها صلة مباشرة أو غير مباشرة وبناء المؤسسات التربوية ومنها الجامعة على أنها أنساق اجتماعية كلية تتكون من مجموعة وحدات متميزة ومتكاملة تعمل معا لتحقيق أهدافها التربوية والتعليمية في المجتمع لضمان بقاءه واستقراره الاجتماعي .ولقد ساهم رواد هذه النظرية أمثال " دوركايم، بارسونز، روبرت ماكيفر " بأرائهم وتحليلاتهم حول

المؤسسات التربوية والنظام التعليمي بمختلف وحداته ، بما في ذلك المؤسسة الجامعية، وركزوا على الدور الأكبر والوظيفة المثلى التي تقوم بها الجامعة كتنظيم ينطلق من وجود تبادلات وتفاعلات بين أفراد التنظيم نفسه وبين هذا التنظيم والبيئة الخارجية، إضافة إلى محاولة معرفة مدى تأثير هذا النظام على باقي الأنظمة الاجتماعية الأخرى .

وفيما يلي سنشير إلى أهم مفكري ومنظري هذه النظرية - :

***إميل دوركايم** : يعتبر إميل دوركايم " أول من مثل جمهور علماء الاجتماع في بلورة الاتجاه الاجتماعي في مجال التربية والتعليم، وتكشف لنا تصورات وآرائه أنه لم يركز على دراسة الجامعات بصفة أساسية بقدر ما جاءت كتاباته ليعبر عن أهمية نظام التعليم ووظيفته في نقل معايير وقيم المجتمع من جيل إلى آخر وتحقيق التجانس له " .(السيد علة ، عمر الجولاني ،1997،ص90)

ولقد ناقش دوركايم العديد من القضايا التربوية، حيث اهتم بدراسة مشكلات التربية والتعليم في فرنسا ولاسيما قضية المنهج ونوعية المقررات الدراسية التي تعطي للتلاميذ والطلاب سواء في المدارس أو الجامعات، كما عالج من خلال اهتماماته نوعية العلاقة المتبادلة بين المدرسة والمجتمع، ونوعية المكاسب الفردية التي يحصل عليها التلاميذ من خلال دراسة المقررات والمناهج الدراسية، حيث رأى أن " الاختلاف في الظروف الاجتماعية والثقافية والدينية تلعب دورا كبيرا في تنوع البرامج التربوية والتعليمية التي توجد في هذه المجتمعات والتربية في نظره ليست ظاهرة الستاتيكية (ثابتة) بل هي ظاهرة ديناميكية متحركة، والمدرسة من المؤسسات الاجتماعية التي تستطيع بواسطتها " (عبد الله سالم ، 2002،ص4) المجتمعات أن تغير وتتغير، وتتحول من أشكالها البدائية إلى أشكالها المتحضرة " . أي أن دوركايم حرص على فكرة عدم وجود نمط تعليمي موحد نموذجي تتفق عليه وتقره جميع المجتمعات، لأن الحاجات الاجتماعية تختلف من مجتمع إلى آخر وتلعب دورا أساسيا في تشكيل وبناء محتويات البرامج التربوية والتعليمية .

كما أقر دوركايم بضرورة تحديد طبيعة التخصص وتقسيم العمل وخلق تخصصات علمية وأكاديمية ومهنية يتطلبها بناء المجتمع الحديث، ورأى أن " المؤسسة الرائدة في جعل التعليم تخصصيا هي الجامعة، باعتبارها المؤسسة الوحيدة التي بإمكانها تكوين مهارات عالية التخصص لتوفير التنوع والاختلاف الذي يقوم عليه التكامل في المجتمع وذلك عن طريق إكساب الأفراد

والمهارات النوعية الضرورية اللازمة للمهنة التي سوف يقومون بها مستقبلاً لتحقيق مبدأ تقسم العمل، "الأمر الذي من شأنه خلق تعاون وتضامن في الحياة الاجتماعية للأفراد". وتعتبر القضية بين المدرس والتلميذ من القضايا الهامة التي تناولها بوضوح في معرض تحليلاته عن النظام التعليمي مستخدماً مدخله السوسيولوجي التربوي المميز من خلاله تحليله للوظيفة النقدية للتربية والعملية التعليمية، كما ركز بصورة أخص على أهمية المدرس ودوره باعتباره العميل الأخلاقي الأعظم الذي يعطي المجتمع الصلاحيات اللازمة لعمليات التنشئة الاجتماعية، وهو "ممثل الدولة والقيم الأخلاقية بالمجتمع، إذ أن دوره يتطلب التأكيد على القيم والمبادئ الأساسية ومساعدة التلميذ على اكتسابه". (براهمي وريدة، 2005، ص19) كما حرص دوركايم على مناقشة طبيعة العلاقة بين الدولة والنظام التعليمي، حيث أشار إلى أهمية الدولة في تحديد إيديولوجيتها، وضرورة حرصها على التخطيط العلمي والسيطرة شبه الكاملة على المدارس ومنها الجامعات لأن هذه المؤسسات التعليمية لها دور تنظيمي كبير وهم، وهي إحدى المؤسسات الساهرة على تنشئة الأفراد وخلق روح التضامن الاجتماعي في الحياة الاجتماعية ككل، كما أنه المسؤول إلى جانب الأسرة عن تنمية المهارات الفردية وتكوين الشخصية وإكساب الأفراد المعايير والسلوكيات المجتمعية السليمة. لكن بالرغم من أن دوركايم كان يهدف إلى صياغة تصوره الاجتماعي في مجال التربية والتعليم، إلا أن أفكاره لم تخل من النقد بحيث أهمل دور التلميذ كفاعل تربوي مهم في المنظومة التعليمية وركز بشكل كبير على المدرس الذي اعتبره حجر الزاوية في المدرسة، وربط نجاح النظام التعليمي بنجاح المدرس في أداء أدواره ووظائفه على أكمل وجه.

*تالكوت بارسونز: لقد استخدم بارسونز بكثرة مفهوم النسق الاجتماعي وبدأ تناوله في تحليله للمؤسسات الاجتماعية وخاصة المؤسسات التي تحرص على استقرار النسق الاجتماعي مثل المدرس وذلك في مقاله الشهير "المدرسة كنسق اجتماعي"، وقد عبر في إطار نظريته العامة عن النسق والفعل الاجتماعي ومن خلال تحليلاته الوظيفية أن الجامعة هي التنظيم الأم، " وأن التعليم يحدد أنواع الالتزام، فالتعليم الأولي يؤكد الالتزام بتشرب واستدماج القيم الاجتماعية للمجتمع، أما التعليم الثانوي والجامعي فيساعد على تحديد نمط الدور التخصصي الذي يشغله الفرد في مرحلة الرشد"، إضافة إلى تحليله بعض مؤسسات التنشئة الاجتماعية والتي تسعى في ذلك إلى تقييم الدور الوظيفي لهذه المؤسسات خاصة بعد تفاقم المشكلات الناتجة عن عجز هذه المؤسسات في عملية التنشئة الاجتماعية. كما اهتم بارسونز " بدراسة وظيفة الجامعة في المجتمع

باعتبارها نسقا اجتماعيا يسعى لتحقيق التكامل الاجتماعي والمهني والعلمي ككل، ولكونه مركبا تنظيميا للمعرفة لأنه تغذي جميع المؤسسات والتنظيمات الأخرى بالكوادر الفنية والمهنية الأكاديمية، ومن ناحية أخرى يؤكد **بارسونز** على ضرورة دراسة الجامعة مثل الأنساق الفرعية، التي لا يمكن فهم أدوارها الوظيفية والبنائية إلا في ضوء سياقها الاجتماعي والثقافية وعلاقتها المتبادلة مع الأنساق الفرعية الصغرى، التي تكون في مجملها طبيعة النسق الاجتماعي الكبر وهو المجتمع. " (على احمد، 1995، ص51) وكان تركيز **بارسونز** على هذه المؤسسات وضرورة دراستها لأنه تقوم على دور وظيفي كبناءات اجتماعية لها أهداف محددة والأفراد الذين يلتحقون به ويمكنون لفترات طويلة تفوق في كثير من الأحيان الفترات التي يقضيها هؤلاء الأفراد مع أسرهم، يشغلون أدوارا اجتماعية منتظمة داخل المجتمع .

واعتبر **بارسونز** الجامعة بأنه المكان الذي يمثل جزء " الجوانب المعرفية للمجتمع والبنىات الاجتماعية الثقافية، حيث اهتم بالجماعات المهنية التي تعمل في الجامعات مركزا على أهمية التدريب المهني والفني باعتبارهما أساس تطور الكفاءة المعرفية، كما أكد على أهمية التخصص الأكاديمي وعلى أهمية العلاقة بين العملية التعليمية وأنشطة البحث العلمي، فالجامعة بمثابة تنظيم أكاديمي يشبه المجتمع المحلي المتماسك (نسق فردي) والذي عليه تأدية وظائفه في المجتمع. " (على احمد، 1995، ص132) كما أشار بأهمية العملية التربوية داخل المؤسسات التعليمية، والتي تسعى إلى الوصول إلى اكتشاف الطريقة المنظمة لإشباع وتطوير حاجات الفرد الشخصية انطلاقا من اكتساب الثقافة ومقومات النسق الاجتماعي من خلال العملية التربوية وعن طريق مؤسسات النظام التربوي، وينتج عن هذه العملية شخصية اجتماعية محافظة على القيم، لها مكانتها في شبكة الأدوار الاجتماعية، هذه المكانة وتطور حاجات الفرد الشخصية، فالمؤسسة التعليمية ومنها الجامعة هي مؤسسة تربوية ذات فعالية يتم عن طريقها تدريب الأفراد ليكونوا مهنيين لتأدية الأدوار المنوطة إليهم والتي تساعدهم مستقبلا على الاندماج في مجتمعهم وفي مؤسسات عملهم إضافة إلى تربية وتنشئة الفرد من خلال تعديل سلوكه والالتزام بالقيم والعادات الاجتماعية .

وحاول **بارسونز** أن يفرض نظام الجامعة الأمريكية وطبيعتها ووظائفها المتعددة في المجتمع، فنجدته يركز على خاصية التخصص كإحدى السمات العامة التي يتصف بها المجتمع الحديث، حيث يعتبر التخصص هو المحك الأساسي الذي يمكن عن طريقه فهم طبيعة التباين بين المستويات المهنية الأكاديمية باستخدام ما يسمى عمليات الاتصال التنظيمي المهني بالجامعات، ويشير إلى

أهمية إثراء هذه العملية، باعتبارها العامل الأول الذي يؤدي إلى استمرارية وجود هذه الجامعات (محمد عبد الرحمان، 1991، ص113). والجامعة حسبه " ليست مكانا للتدريس أو الذي يطلق عليه التعليم العالي، ولكن لها أيضا مجموعة متنوعة من الوظائف القيمة، وعلاوة على ذلك لها وظائف أخرى، مثل وظيفة البحث أو ما يسمى بتطوير وتقديم المعرفة. هذا التطور والتقدم حسب بارسونز يكون من خلال التنسيق والتعاون مع المؤسسات الاجتماعية الأخرى، فالجامعة هي التنظيم الأساسي في المجتمع والقادر على حل مشكلاته ومن ثمة الحفاظ على بقاءه واستمراره . وبالرغم من أصالة أفكار بارسونز إلا أنه يصعب تبيينها في مجتمعات أخرى لأنها مستوحاة من المجتمع الأمريكي الذي له خصوصيات تختلف عن خصوصيات المجتمعات الأخرى .

وخلاصة يمكننا القول أن النظرية البنائية الوظيفية التي تبناها الكثير من علماء الاجتماع في تحليلهم وتفسيرهم للنظم والمؤسسات التربوية على مختلف المستويات سعت إلى الإسهام السوسيولوجي في مجال التعليم العالي، بما في ذلك الجامعة وكذا إبراز وظيفة الجامعة ودورها الأساسي والرائد في المجتمع، ومن منطلق تحليلي تهم وأطرهم الفكرية، رأوا أن الجامعة كنسق تسعى لحفظ التوازن والاتفاق والاستقرار والتكامل في المجتمع، والتعليم هو ميكانيزم يمكن أفراد المجتمع من التكيف مع الحياة الاجتماعية.

المحاضرة الثالثة : مقارنة الفعل الاجتماعي في حقل علم اجتماع التربية

اولا: علم الاجتماع والفعل الاجتماعي عند فيبر ثانيا: النمط او النموذج المثالي عند ماكس فيبر ثالثا: اهم معالم فكر ماكس فيبر رابعا: مدخل مفاهيمي لنظرية الفعل الاجتماعي خامسا : ماكس فيبر وقراءته السوسيولوجية لعلم اجتماع التربية	عناصر المحاضرة
في نهاية هذه المحاضرة سيتوصل الطالب الي نظرية الفعل الاجتماعي عند ماكس فيبر وقراءته السوسيولوجية لعلم اجتماع التربية	اهداف المحاضرة

اولا- علم الاجتماع والفعل الاجتماعي عند ماكس فيبر :

لقد عرف فيبر علم الاجتماع بأنه " ذلك العلم الذي يحاول الوصول إلي فهم تفسير للفعل الاجتماعي من أجل التوصل إلي تفسير علمي لمجري هذا الفعل وأثاره"، والفعل الاجتماعي حسب تعريف ماكس فيبر والذي يجب أن يكون موضوع دراسة علم الاجتماع هو أي سلوك يضفي عليه الفعل معني ذاتياً ، والفاعل حين يقوم بهذا الفعل الاجتماعي، فإنه يضع سلوك الآخرين دائماً في اعتباره ، ويكون فعله بالتالي موجهاً نحو الآخرين.

وقد اعتبر ماكس فيبر أن وحدة التحليل الأساسية للمجتمع هي الشخص الفاعل " Acting

person" ويقول في ذلك : إن علم الاجتماع التفسيري يعتبر الفرد وفعله هو الوحدة الأساسية أو "الذرة" فالفرد هو الشيء الوحيد الذي لديه سلوك له معني ... أما المفهومات الأخرى مثل الدولة او الرابطة أو الإقطاع فإنها تشير إلي فئات معينة من التفاعل الإنساني . وعلي هذا فإن مهمة علم الاجتماع هي اختزال مثل هذه المفهومات إلي فعل يمكن فهمه ، أي إلي افعال الأفراد المشتركين في النشاط".

لقد أقام فيبر نظريته علي أساس التمييز بين أربعة أنماط أساسية من الفعل الاجتماعي هي :

1-الفعل العقلاني الذي يرتبط بهدف ما : بأن الفاعل فيه يدرك بوضوح هدفاً معيناً يريد

تحقيقه وتكون لديه أساليب مناسبة لتحقيق هذا الهدف ، ومثال هذا النوع من الفعال ما يقوم به المهندس الذي يصمم بناء معيناً أو الشخص المضارب في سوق الأوراق المالية الذي يهدف إلي

تحقيق مكسب مالي أو القائد الحربي الذي يريد أن يحقق نصراً ما ، أفعال هؤلاء جميعاً أمثلة علي
الفعال العقلانية التي ترتبط بتحقيق هدف معين.

2-الفعل العقلاني الذي يرتبط بقيمة ما : وهو الفعل الذي يرتبط بقيمة ما فهو ذلك الفعل

الذي لا يهدف إلي تحقيق هدف خارجي معين بالنسبة للفرد بقدر ما يهدف إلي التمسك بقيمة معينة
لها أهمية عظمي عند الفرد . ومثال ذلك الفعل ما يقرره قبطان السفينة من ألا يدعها تغرق وحدها
بل يغرق معها أو حين يشترك فرد ما في مباراة يعمل أنه يقتل فيها أما ما يسميه ماكس فيبر الفعل
الوجداني أو العاطفي فهو ذلك الفعل الذي ينجم عن حالة عاطفية أو نفسية مباشرة للفرد مثل ذلك
حين تصفع الأم ابنها لأنه أتى سلوكاً شيناً أو حين يضرب أحد لاعبي الكرة زميلاً له في المباراة ،
هذه الأفعال أفعالاً وجدنية وليست أفعالاً عقلانية لأنها ليست موجهة إلي هدف ولا مرتبطة بقيمة
معينة ولكنها عبارة عن ردود أفعال عاطفية للفاعل الذي يجد نفسه في ظروف معينة.

3-الفعل الوجداني أو العاطفي.

4-الفعل التقليدي : هو ذلك ذلك الفعل الذي تمليه التقاليد ، والعادات الجمعية والمعتقدات ،
والفاعل في هذه الحالة لا يأتي فعله من أجل تحقيق هدف ما أو من أجل تمسكه بقيمة معينة أو لأنه
مثار انفعالياً ولكن فعله يكون مجرد إطاعة لأفطار تم له اكتسابها من خلال عملية التطبع
الاجتماعي.

ثانيا : النمط أو النموذج المثالي عند ماكس فيبر:

تعتمد نظرية ماكس فيبر كما قلنا على هذا التصنيف للفعل الاجتماعي أو علي ذلك التنميط ،
وبالتنميط له أهمية خاصة في نظرية ماكس فيبر فقد رأي فيبر أنه لكي نستطيع تحليل الظواهر
الاجتماعية ، ي موضوع علم الاجتماع لابد أن تكون لدينا أداة نقوم بالتحليل علي أساسها تسهل لنا
عملية المقارنة بين هذه الظواهر وبعضها البعض وهذه الأداة هي ما أسماه فيبر بالنماذج أو
الأنماط المثالية الخالصة

فالأربعة أنواع من الأفعال الاجتماعية السابق الحديث عنها تمثل نماذج مثالية أو خالصة
للفعل الاجتماعي بمعنى أنها لا توجد في الواقع بهذه الكيفية ولكنها مجرد تصورات عقلية مستمدة
من الواقع فعلاً ولكنها لا توجد فيه بهذه الكيفية ، وقد انطلق فيبر بعد تصنيفه للفعل الاجتماعي إلي
تصنيف كافة الظواهر في المجال الاجتماعي فقد صنف بناء علي ذلك مثلاً أنماط السلطة أو
السيطرة رأي أن هناك سيطرة أو سلطة عقلانية وسلطة تقليدية وسلطة كاريزماتية .

كما أن تصنيفه للمجتمعات ، وكذلك تصوره لمراحل التطور التاريخي للمجتمعات الغربية قد اعتمد أيضاً علي تصنيفه للفعل الاجتماعي، فالصفة الرئيسية للعالم الذي عاش فيه ماكس فيبر كما يقول هي صفة العقلانية أو الفعال العقلانية التي ترتبط بتحقيق الأهداف ، والمشروعات الاقتصادية ، في النظام الرأسمالي هي مشروعات عقلانية كما أن سيطرة الدولة علي المجتمع تكون أيضاً سيطرة عقلانية عن طريق البيروقراطية .

والواقع أن اهتمام ماكس فيبر قد انصب علي أول نمط من أنماط الفعل الاجتماعي الأربعة أي الفعل الاجتماعي العقلاني الموجه نحو تحقيق أهداف محدودة لأن هذا النمط من الفعل الاجتماعي هو الذي يرتبط بذلك النموذج المثالي أو الخالص من نماذج المجتمع ويعني به نموذج الرأسمالية الغربية المعاصرة.

وقد أثار فيبر سؤالين هامين بالنسبة للرأسمالية:

أولهما : ما هي الخصائص المميزة لتلك الظاهرة الاقتصادية الاجتماعية المسماة بالرأسمالية والتي توجد في الغرب؟ ثانيهما : كيف ظهر هذا النموذج أو هذا النمط في المجتمعات؟

وقد رأي فيبر أن الرأسمالية قد ظهرت في أزمنة مختلفة في تاريخ العالم وفي مناطق مختلفة منه ولكن أشكالها قد اختلفت عن الشكل الحديث للرأسمالية التي توجد في العالم الغربي.

ولكي يصل ماكس فيبر إلي تحديد الخصائص الأساسية للنمط الرأسمالي المعاصر فإنه قد أجرى دراسات متعددة عن القانون وتاريخه وعن نظم الإدارة ونظم الطعامة والحكم والنظم الدينية واستطاع من ذلك كله أن يستخلص إجابات عن السؤالين الذي أثارهما كما سبق أن ذكرنا.

إن أهم خاصية للرأسمالية الحديثة هي طابعها العقلاني ويتضح ذلك الطابع العقلاني حين نقارن نمط التنظيم الإداري الذي يرتبط بها بغيره من التنظيمات الإدارية التي كانت سائدة في إنجلترا وفي فرنسا خلال عصر الإقطاع ، وقد قام فيبر بتحليل أنماط القانون والإدارة المختلفة وقرر فيبر

أن المجتمعات الإنسانية قد عرفت جميعها نمطاً ما من السلطة ، ذلك أنه في أ مجموعة من المجموعات لا بد أن يكون هناك فرد أو افراد يصدرون الأوامر ولا بد أن يكون هناك آخرون يطيعون هذه الأوامر والذين يصدرون الأوامر يتوقعون أن قطاع أوامرهم.

والسبب في ذلك أن الذين يصدرون الأوامر والذين يطيعونها يشتركون سوياً في معتقدات معينة أو بعبارة آخري يعتقدون بأن السلطة لها طابع شرعي ولكن أساس هذه الشرعية قد يختلف

من حالة لأخري فهناك كما قال فيبير ثلاثة نماذج مثالية أو أنماط خالصة من السلطة يمكننا أن نميزها تبعاً لشرعيتها هي (فادية عمر ، 1997 ، ص36) :

- 1 -الشرعية العقلانية وهي تلك التي تعبر عن الاعتقاد في مشروعية أنماط القواعد المعيارية وحق أولئك الذين تحددهم هذه القواعد في ممارسة السلطة وإصدار الأوامر.
 - 2 -المشروعية التقليدية وهي التي تعتمد علي الاعتقاد في قدسية التقاليد الراسخة وفي حق أولئك الذين يتولون السلطة في ممارستها.
 - 3 -المشروعية الكارزمية (وقد سميت بذلك الإسم الذي اشتق من الكلمة اليونانية التي تعني العظمة والموهبة) وتعتمد هذه المشروعية الكارزمية على يولاء الناس أو الاتباع لفرد معين يتمتع بامتياز وقدرات نادرة وخصائص شخصية كالبطولة أو العظمة ينذر أن تتوافر لغيره. ومثل هذا القائد أو الزعيم يلقي الطاعة من الاتباع لأنهم يعتقدون أن أي أنماط معيارية أو اي أوامر يصدرها إنما هي أشياء مقدسة.(فيبير،ترجمة هلال : 2011، ص69)
- وقد أشار فيبير إلي أن الطاعة في الحالة الأولى (اي في حالة المشروعية العقلانية) ترجع إلي النظام القانوني القائم والذي يتصف بالصفة اللاشخصية . بينما ترجع في الحالتين الثانية والثالثة إلي صفات شخصية. ،والمشروعية العقلانية هي نمط فريد من السلطة ظهر في الحضارة الغربية وحدها وقد أشار فيبير إلي ان أياً من النماذج المثالية أو الخالصة لا توجد في شكل خالص في أي فترة تاريخية ولكن ما وجد في اي حالة من الحالات أو في أي فترة من الفترات التاريخية لم يكن سوي شيئاً قريباً من هذه النماذج العقلية الخالصة.

1 -البيروقراطية:

درس ماكس فيبير بالتفصيل العلاقة بين الأنساق الاجتماعية والاقتصادية وبين أن هذه الأنساق كانت تتجه باستمرار إلي العقلانية وقد قرر فيبير أن ذلك النمط من القانون العقلاني إنما هو ظاهرة حديثة نوعاً في التاريخ اللانساني وأنه قد ارتبط أساساً بظهور الرأسمالية الحديثة ، والقانون العقلاني مثل الرأسمالية الحديثة نتاج للحضارة الغربية الحديثة ، وتساءل فيبير عن الرابطة بين الأثنين وقد حاولت أن يجيب علي هذا السؤال عن طريق دراسته لتطور ما أسماه بالإدارة البيروقراطية.

إهتمام ماكس فيبير أيضاً بعملية التتميط أو تصنيف الظواهرات إلي أنماط معينة ، وقد تحدث فيبير كثيراً عن نمط معين من الإدارة هو البيروقراطية ، ورأي أن البيروقراطية كنمط مثالي

للإدارة يركز أساساً علي السلطة القانونية العقلية التي تمثل أساس المشروع ، ورأي أن البيروقراطية عبارة عن عملية مستمرة من أداء الوظائف الرسمية ، طبقاً لقواعد ومعايير ، فالأشخاص الذين يؤدون هذه الوظائف لهم مجالات محددة ويتمتعون بالسلطة الضرورية التي تساعدهم علي أداء مهامهم، وهذه السلطة موزعة بطريقة معينة بحيث تضمن نوعاً من التدرج في الوظائف الرسمية ، وبحيث نجد في نهاية الأمر أن هناك مجموعة من الأشخاص الرسميين لهم مهام إشرافية علي غيرهم من الأشخاص ، ولكي يستطيع هؤلاء الأشخاص ممارسة السلطة ، فلا بد أن تتوفر لديهم بعض المؤهلات والخصائص ، وليس من الضروري أن يمتلك أولئك الذين يمارسون السلطة الإدارية أي وسائل للإنتاج ، كما ليس من الضروري أن يستخدموا وظائفهم الإدارية لتحقيق أي أغراض شخصية والأفعال ذات الطبيعة الإدارية مسجلة كتابة في شكل لوائح أو قوانين مما يضمن صفة الإستمرارية للعملية الإدارية. ومن الخصائص المميزة لحياة الأشخاص الرسميين في النمط البيروقراطي من الإدارة هي (فيبر، ترجمة هلال : 2011، ص69):

أنهم يتصرفون بطريقة لا شخصية تبعاً للقواعد التي تحدد مجال عملهم وأنهم يشغلون هذه المناصب بالتعيين ، وليس بالانتخاب ويعتمد تعيينهم عل يتوافر مواصفات معينة فيهم ، وعادة ما يحصلون علي مناصبهم بعد اجتيازهم لاختبارات معينة . ويحصل هؤلاء البيروقراطيون علي مرتبات بناء علي جدول مرتبات معين ويحصلون علي معاشات بعد عدد معين من السنوات التي يقضونها في الخدمة ، وعادة ما لا يكون لهؤلاء الأشخاص أعمال أخرى.

وقد قارن ماكس فيبر هذا النمط من التنظيم الإداري (أي البيروقراطية) بالتنظيم الإداري الذي يرتبط بشكل السلطة التقليدية . ففي التنظيم الإداري الذي يرتبط بالسلطة التقليدية لا تعتمد إطاعة الأفراد لبعضهم البعض علي قواعد أو لوائح محددة وإنما يعتمد ذلك علي نوعية الشخص الذي يشغل مركز السلطة التقليدية ، وتحدد التقاليد اساليب تصرف المسؤول الإداري التقليدي في بعض الأحيان أو تترك له حرية التصرف الكاملة في أحيان أخرى وبمعكس ما هو موجود في النمط البيروقراطي من الإدارة نجد أن النمط التقليدي من الإدارة يعتمد علي اختيار الأشخاص لممارسة هذه المهنة ليس بناء علي خصائص محددة من قبل واختبارات معينة ولكن علي أساس صلتهم بالرئيس أو القائد وولائهم الشخصي له.

وهكذا تري أن فيبر رأي أن الخاصية الرئيسية للرأسمالية الغربية الحديثة هي العقلانية في كلمن القانون والإدارة ، كما رأي أن هذه العقلانية تعتمد علي افتراضات أساسية معينة وعلي

معتقدات أساسية يشترك فيها الفراد فى المجتمع الغربى وتلك المعتقدات هى ما أسماها المشروعىة القانونىة العقلانىة ، ولكن هناك خصائص أخرى فى الرأسمالىة كما عرفها الغرب تحدث عنها ماكس فىبر بالتفصىل.

ىرى عالم الاجتماع الشهىر مىتشل أن أهم إسهامات فىبر فى علم الاجتماع هى محاولته تفسىر ذلك النسق الاجتماعى والاقتصادى المعروف باسم الرأسمالىة على أسس تاريخىة واجتماعىة عن طرىق استخدام الدراسات المقارنة ، وقد استخدم لتحقيق هذا الهدف عدة أسالىب للتحلىل أهمها مفهوم النموذج المثالى أو النموذج الخالص وىرى مىتشل أيضاً أن فىبر كان ىتمتع بالجرأة العقلىة وبالالتزام السىاسى وبالخصائص المهنىة فى عاداته وأسلوب تحلىله.

ثالثاً : أهم معالم فكر ماكس فىبر

ىتضح لنا من عرضنا السابق أن فكر ماكس فىبر ىتصف بالصفات الأساسىة التالىة:

أولاً : الالتزام الأىدىولوجى الواضح بالنظام الرأسمالى وتمجىده واعتباره النظام الأمثل للبشرىة الذى ىجب الحفاظ علىه وإدخال التحسىنات والتعدىلات به ، وىرتبط بذلك نزعة عنصرىة واضحة تتمثل فى الدعوة إلى سىطرة المانىا على غيرها من البلدان.

ثانىاً : أصبح ماكس فىبر عالم اجتماع عن طرىق اشتباكه فى جدل طویل وعنرف مع شىب كارل ماركس كان هدفه إثبات خطأ افكار ماركس الثورىة وتحدى إدعاء ماركس بأن الاشتراكىة أرقى من الرأسمالىة من الناحىة الإنسانىة والأخلاقىة.

ثالثاً : إفترض ماكس فىبر أن أساس الواقع الاجتماعى سىكولوجى فكرى وبالتالى فإن موضوع علم الاجتماع ىصبح دراسة أشكال هذا الواقع السىكولوجى.

رابعاً : وحدة التحلىل الأساسىة عند فىبر هى الشخص الفاعل ولابد من اختزال كل المفهومات الأخرى مثل الدولة أو الرابطة أو النظام الاجتماعى إلى فعل ىمكن فهمه ، اى إلى افعال الأفراد المشتركىن فى النشاط.

خامساً : على الرغم من أن فىبر لم ىنكر أهمىة العوامل المادىة فى المجتمع إلا أنه رأى أنها تابعة للعوامل الفكرىة ولىست أصلاً لها.

سادساً : صور فىبر الانسان على أنه أسىر واقع الاجتماعى وأنه لىس قادراً عل ىتغىیره وحذر من الثورة فالعمال قد ىكسرون أغلالهم بالثورة ولكنهم لن ىكسبوا شىئاً من ورائها.

سابعاً : إن أنماط ماكس فيبرر الخالصة أو المثالية عن السلطة وعن الفعل الاتماعي أنماط تصويرية لا تستند علي ادلة واقعية كما أن إفتراضاته عن الطبيعة المثالية للواقع الاجتماعي وبخاصة مقولته التي مؤداها أن الرأسمالية نشأت عن الروح البروتستانتية لا تستند علي أدلة تاريخية إمبريقية.

رابعاً : مدخل مفاهيمي لنظرية الفعل الاجتماعي (جميل ، 2015 ، ص19)

أ ن نظرية الفعل الاجتماعي تتعلق أساسا بتفسير وتأويل السلوك الإنساني بأنه سلوك هادف، والفعل الاجتماعي هو الموضوع الأساسي لعلم الاجتماع حسب رواد هذه النظرية، وعلم الاجتماع (حسب المعنى المفهوم هنا لتلك الكلمة التي تستخدم بمعانٍ متعددة) هو " علم يهدف إلى فهم الفعل الاجتماعي بطريقة شارحة ويفسر أسبابه في تتابعه وتأثيراته. والفعل هو هنا سلوك إنساني (سواء كان فعلاً خارجياً أو داخلياً، تخلياً أو قبولاً)، كما وبالقدر الذي يربط به القائم بالفعل أو القائمون به معنى ذاتياً، يجب أن يكون الفعل الاجتماعي ذلك الفعل الذي يتبع في معناه المقصود من قبل فاعله أو فاعليه سلوك أفراد آخرين ويتوجه في تتابعه حسب ذلك " والسوسيولوجيا تتناول على الخصوص الفعل الاجتماعي في أي مؤسسة اجتماعية، سواء كانت سياسية، اقتصادية، مالية، تربوية... إلخ، وكل فعل داخل هذه الأنماط من المؤسسات له خصوصياته ومداخله وتأويلاته، ففي المؤسسات الاجتماعية التربوية التي هي محور اهتمامنا نجد أن الفعل التربوي هو فعل اجتماعي في الأساس، والظاهرة التربوية في الأصل هي ظاهرة اجتماعية بامتياز، "الفعل التربوي بطابعه العام هو فعل ينتج ثقافياً واجتماعياً من جهة، ويعيد إنتاجاً، لكن ما يمكن الإشارة إليه أن هذا الفعل التربوي تختلف عملياته وعناصره ما هو اجتماعي وثقافي من جهة أخرى " على الفعل الاجتماعي، لكن يتشارك معه في أنه سلوك ونشاط موجه نحو الآخرين مبني على علاقات اجتماعية وتبادلات اجتماعية تحقق نوع من الإشباع لهؤلاء الفاعلين. وخلاصة لهذا كله فإن اهتمامنا بالتربية يدفعنا إلى دراسة الفعل التربوي في هذه المقاربة كفعل اجتماعي له خصائصه وإسقاطاته داخل المؤسسات التربوية بالرجوع دائماً إلى أهم أفكار ومعتقدات ورؤى منظري هذا الاتجاه

خامساً : ماكس فيبرر وقراءته السوسيولوجية لعلم اجتماع التربية

يعتبر ماكس فيبرر مفكراً عظيماً ومعقداً، وكتاباً غزيراً الإنتاج، له العديد من الدراسات في سوسيولوجيا الأديان والمناهج والفلسفة والتاريخ وعلم الاجتماع والإدارة، وهو من أكبر المنظرين

الاجتماعيين قوة وتأثيرا وشهرة، حاول قدر الإمكان دراسة المجتمع وتفسير الظواهر الاجتماعية بالتركيز على الفعل الاجتماعي بدلا من البنية الاجتماعية على اعتبار أن هذا الفعل هو سلوك إنساني يضيف عليه الفاعل معنى ذاتيا، كما أشار إلى أن الفرد أو الفاعل هو وحدة التحليل الأساسية في المجتمع، وعن طريق فهم سلوك هؤلاء الفاعلين يكمن تفسير الظواهر الاجتماعية .

ويصر **ماكس** على أن نجاح المؤسسات التربوية مرتبط باتباعها النموذج البيروقراطي، والذي يتجلى في أنه "مجموعة ثابتة وصارمة من القواعد والعقوبات الجزائية والمكاتب التي تحكم المؤسسة ككل، والمسؤولية موكلة بصفة خاصة لبعض الموظفين ويتم تنفيذ الواجبات طبقا للائحة ثابتة، كما أن تنظيم المكاتب يتبع مبدأ التسلسل الهرمي "وتتمحور النظرية البيروقراطية حول دراسة المؤسسة ومنها الجامعة كنسق مغلق لا يتبادل التأثير مع المحيط الخارجي، كما تشير بصورة دقيقة إلى طبيعة الكفاءة الإدارية من خلال دراسة وظيفة المتغيرات التنظيمية والتي تتمثل في تقسيم العمل، التخصص الوظيفي، التسلسل الهرمي للسلطة...إلخ، ويعتقد **فيبر** أن أي تنظيم بإمكانه الوصول إلى تلك الفعالية عند القضاء على العوامل الشخصية والعاطفية غير الرشيدة .

وعقب إنشاء النظام البيروقراطي الداعي إلى تقديم الاختصاصات والفصل بين أنماط الوظائف في المجتمع، برزت "الضرورة إلى وجود نظام تعليمي متوافق مع نمط هذا النظام يلبي احتياجاته الخاصة به فكان من الطبيعي أن يفكر المعنيون بالنظام البيروقراطي القائم على توزيع الأدوار والدوائر حسب اختصاصات الأفراد في تأسيس نظام تعليمي تخصصي مناسب يوفر لهم الكوادر المتخصصة، لكي يضمنوا ديمومة هذه المنظومة ويحافظوا على كيانها. من جهة أخرى بات الأفراد يصبون إلى شغل مواقع مناسبة في هذا النظام من خلال الانخراط في النمط التعليمي المذكور بوصفه مجرد سلم للتقدم داخل النظام البيروقراطي "كما أن اهتمام **فيبر** "لم يكن محمدا بتوضيح وتحديد أهداف و وظائف الأنساق التربوية بصفة عامة بل كان اهتمامه منصبا أساسا على تلك الأشكال التربوية التي تهدف إلى إعداد أعضاء الصفوة والطبقات الحاكمة في المجتمعات (عبد الحميد ، 2002، ص10)، ولذلك قلما نجده يتحدث عن التعليم العام الحديث "وانطلقت إسهامات ورؤى **فيبر** حول الجامعات من خبرته كأحد أساتذة الجامعة حيث قام بدراسة وتحليل عدة جوانب

تخص التعليم العالي والجامعة، حيث حاول إبراز نواحي القصور في الجامعة الألمانية من خلال مقارنته لنظام التعليم العالي الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا، وتطرق إلى مشكلة العملية التعليمية وطرق التدريس الجامعي ونوعية الحياة الجامعية للطلاب، والعلاقة بين الجامعة والمجتمع، إضافة إلى " العلاقة الموجودة بين الدولة والجامعة والتي اتسمت بالتضييق والقيود الكثيرة التي تفرض على أساتذة الجامعات، وجعلهم تحت الإجراءات السياسية البوليسية، ودور الأستاذ الجامعي والجامعة واهتمامها بالقضايا السياسية أو ما يعرف بتسييس الجامعة، وقضية الحياد الأخلاقي والمسؤولية المهنية لأساتذة الجامعات (عبد الله، ص 100) كما تطرق فيبير إلى مشكلة الحرية الأكاديمية واعتبرها قضية هامة في التعليم العالي باعتبار أن المسؤولية الأكاديمية للجامعة تتطلب ممارسة حقها في مساعدة الطلاب على التأهيل للحياة العلمية والعملية المستقبلية وهذا جزء¹ من واجبات الجامعة. والأستاذ الجامعي وبالرغم من اختلاف معتقداته السياسية والدينية... إلخ، إلا أنه مطالب بأن يكون حاضر الذهن دائما ليعرف متى يكون مسؤولا رسميا عندما يحاضر على العامة أو يدلي بتصريحات أو آراء لوسائل الإعلام، " وهذا يختلف عما يقوم به في قاعات التدريس بالجامعة، وطبيعة آرائه وأفكاره التي تعتبر فقط كوسيلة أساسية لتوصيل المعرفة الحقيقية للطلاب، دون فرض آرائه واتجاهاته وتصورات له لقضايا معينة بعيدة عن موضوعات التدريس والمسؤولية المهنية والأخلاقية الأكاديمية الحيادية للوظيفة الأساسية بالجامعة "ومن جانب آخر أشار فيبير إلى بعض القضايا منها قضية دور الجامعة في المجتمع وقضية الديمقراطية الأكاديمية سواء للأساتذة والطلاب ومسؤوليات الأستاذ الجامعي وحقوقه، ورأى أن نجاح المؤسسات التعليمية ومنها الجامعة مرتبط باتباعها النموذج البيروقراطي داخل مؤسساتها، إضافة إلى دراسة العلاقات الاجتماعية فيها ومنها علاقة الأستاذ بالطالب حيث أن الأستاذ مطالب بمنح هامش كبير من الحرية للطالب وبيئة الجو النفسي الديمقراطي إضافة إلى فهم وتكوين المعنى الذاتي عن سلوكيات وأفعال طلابه حتى يأخذ في حسابها كيفية التعامل والتصرف تجاه هذه السلوكيات داخل الحجرة الصفية. ويتضح من هذا النموذج لماكس فيبير أن البيروقراطية هي نمط معين للتنظيم في الهيكل الإداري يمكن تطبيقها في المؤسسات التعليمية عامة والجامعة خاصة، بحيث أنه في هذا الهيكل الخاصة ذه المؤسسة يتم تحديد المسؤوليات والدوار والعلاقات

والسلطات اللازمة لها ثم التنسيق بين الوظائف بشكل يمكن معه إنجاز الأعمال والمهام بطريقة واضحة وسريعة. ورغم ذلك هذا لم ينجح فيير من النقد، لأن نظريته تحمل الكثير من التناقضات منها المناداة إلى الحرية في المؤسسة من جهة والمناداة إلى إتباع الإجراءات التنظيمية التي تعيق الإبداع والمبادرة مثل تقسيم العمل والسلطات والتخصص الوظيفي من جهة أخرى، إضافة إلى دراسته للمؤسسات ومنها الجامعة كنسق مغلق في حين نجد أن الجامعة تؤدي دورها ووظيفتها على أكمل وجه عندما تكون نسقا مفتوحا على باقي الأنساق الفرعية الأخرى لكن ورغم الانتقادات يبقى هذا النموذج على درجة من الأهمية وأداة وتصور نظري يمكن تطبيقه في أي واقع تنظيمي، وأية مؤسسة يمكن تحليلها وفق هذا النموذج.

المحاضرة الرابعة : المقاربة الماركسية في حقل علم اجتماع التربية

أولا : السيرة الذاتية كارل ماركس ثانيا : القول بالتحتمية المادية / الاقتصادية ثالثا : الطبقات الاجتماعية في صلب التحليل رابعا: المقاربة الماركسية التقليدية: خامسا: كارل ماركس وإسقاطاته في المجال التربوي	عناصر المحاضرة
في نهاية هذه المحاضرة سيتوصل الطالب الي التعرف على المقاربة الماركسية وكيفية اسقاطها في الحقل التربوي	اهداف المحاضرة

أولا : السيرة الذاتية كارل ماركس

كارل ماركس (1818-1883) *Karl Marx*: يعتبر في نفس الوقت: فيلسوفا، رجل سياسة، عالم اقتصاد، عالم اجتماع، مؤرخ ومفكر. ومن غير الممكن حصره في ميدان علمي واحد. لذا فليس مشروعنا لنا اعتباره فقط عالم اجتماع، لكن يمكننا التأكيد على أنه بفكره وأعماله كان أحد المساهمين الأساسيين في نشأة علم الاجتماع.

ماركس عايش ميلاد المجتمع الرأسمالي، شهد نمو المصانع وتوسع الإنتاج وما نجم عن كليهما من مظاهر التفاوت وعدم المساواة. ماركس يرى أن هناك عنصرين جديدين/أساسيين أتى بهما نظام الإنتاج الرأسمالي:

- أولا: رأس المال (le capital) وهو مجموع الأصول والموجودات -بما فيها المال والمعدات وحتى المصانع- التي يجري استخدامها أو استثمارها لإنتاج أصول جديدة في المستقبل، ويسمي هذه العملية "تراكم رأس المال". رأس المال في النظام الرأسمالي هو في يد فئة قليلة يسميهم ماركس بالرأسماليين والذين ينتمون اجتماعيا لطبقة البرجوازية.

- ثانيا: العمل بأجر (le salariat) ويشير إلى قطاع العمال الذين لا يملكون، لا وسائل الإنتاج ولا وسائل العيش، يملكون فقط قوة عملهم، لذا فهم مضطرون إلى أن يطلبوا الاستخدام من أرباب رأس المال (الرأسماليين/البرجوازيين) مقابل أجر. العمال يشكلون غالبية أفراد المجتمع، ولأنهم

يشتركون في طريقة الكسب (الأجر وليس الملكية) ولديهم نفس المصالح فهم يعتبرون الطبقة الثانية التي يتكون منها المجتمع: طبقة العمال أو البروليتاريا.

ثانيا : القول بالتحتمية المادية / الاقتصادية

بالنسبة لماركس كل مجتمع يتكون من عنصرين أو بنيتين: "بنية تحتية/مادية/اقتصادية" من جهة، وبنية "فوقية/لامادية/اجتماعية" من جهة أخرى.

البنية التحتية تجمع القواعد التقنية والاقتصادية للمجتمع، و البنية الفوقية تشمل على النظام والمؤسسات السياسية الاجتماعية القانونية الفلسفية الثقافية الشفوية والدينية للمجتمع. في منظومة الفهم والتحليل الماركسية، البنية التحتية (النظام الاقتصادي، نظام الإنتاج، نمط ملكية رأس المال) هي من تحدد البنية الفوقية (نوع النظام السياسي والاجتماعي، نوع الثقافة والأفكار والمعتقدات والمواقف). بعبارة أخرى المجال الاقتصادي يحتل مكانة مركزية في فهم الظواهر السياسية الإنسانية والاجتماعية.

المقولات الماركسية

-من يملك يسيطر من يملك رأس المال (المال، المصنع، الآلات...) يسيطر ويتحكم في من لا يملكه، فسيطرة لا تقتصر فقط على المجال الاقتصادي/المادي بل تتجاوزه إلى سيطرة اجتماعية سياسية ثقافية وأيديولوجية.

- هناك طريقة واحدة فقط لقتل الرأسمالية، الضرائب ثم الضرائب ولا شيء غير الضرائب.

- فكر الطبقة المسيطرة هو في كل الأزمان الفكر المسيطر في العالم.

- الأسرة، الرجل يلعب دور البرجوازي والمرأة دور البروليتاري.

- الأفكار ما هي إلا أشياء مادية منقولة ومترجمة في عقل الإنسان.

-ليس وعي الناس هو من يحدد وجودهم، بل إن طبيعة وجودهم هي من تحدد نوع وعيهم.

- إنتاج الأفكار والتمثلات مرتبط أساسا بالنشاطات والتبادلات المادية بين البشر. إنها لغة الحياة الواقعية.

-الملكية الخاصة جعلت منا أغبياءً ومحدودي العقل، إلى حد اعتقادنا بأننا لا نحوز الأشياء إلا إذا ملكاناه.

ثالثا : الطبقات الاجتماعية في صلب التحليل

تحليلات ماركس انصبت على دراسة المجتمعات الطبقيّة (خاصة على المجتمعات الرأسمالية)، التي تنفرد بالملكية الخاصة لوسائل الإنتاج. بالنسبة له المواجهة بين الطبقات الاجتماعيّة (الصراع الطبقي) يعتبر محرك أساسي للتاريخ، إذن للتغير الاجتماعي. التعارض بين الطبقات الاجتماعيّة هو أحد الخصائص الأساسية للمجتمع الرأسمالي. ماركس يفرق بين طبقتين اجتماعيتين: طبقة الرأسماليين (البرجوازية) وطبقة العمال (البروليتاريا). هاتان الطبقتان تدافعان عن مصالح متعارضة، لكي تحافظ كل واحدة على مصالحها وتحميها أو تثمنها فهي مجبرة على الدخول في مواجهة صراعية مع الطبقة الأخرى. هذا الصراع الطبقي يؤدي حسب ماركس إلى ثورة تكرر ديكتاتورية وحكم البروليتاريا أو المجتمع الاشتراكي، الذي وبعد مدة يترك المجال لمجتمع بدون طبقات: المجتمع الشيوعي. من ما سبق، واضح جدا المكانة المركزية التي يوليها ماركس للصراعات الاجتماعيّة. إنها عامل تغيير وتجديد اجتماعيين وليست مؤشر فوضى اجتماعية (كما يرى دوركايم). ظلت أفكار ماركس ونظريته الاجتماعيّة، لفترة طويلة، في عزلة، من الناحية الرسمية، عن العلوم الاجتماعيّة في معظم جامعات العالم. واستمرت هذه العزلة بالرغم من أن النظرية الاجتماعيّة كانت تتطور من الناحية الفعلية ارتباطاً بماركس، وإن كان هذا الارتباط لا يتم بشكل مباشر فإن معظم الاتجاهات المؤثرة في علم الاجتماع المعاصر، وفي شكله الأكاديمي، قد تبلورت في صراع مع أفكار ماركس، وينطبق هذا الأمر على اميل دور كايم ثم ماكس فيبر وفالفريدو باريتو. وعن طريق هؤلاء امتد هذا الصراع إلى أبرز شخصيات علم الاجتماع الأمريكي المعاصر، ونعني بذلك تالكوت بارسونز.

لذلك كان أسلوب التعرف على نظرية ماركس الاجتماعيّة في المجال الأكاديمي لا يتم عادة بشكل مباشر وإنما من خلال الصراع مع هذا الفكر. ومن هذا ظلت تلك النظرية غامضة في معظم جوانبها إلى جانب ما أضفاه عليها الصراع من معانٍ غير صائبة، غير أن عدم التعرف على نظرية ماركس الاجتماعيّة لا يرجع إلى ذلك الأمر وحده، بل أن هناك أسباباً أخرى تتمثل فيما يلي:

أولاً: أن الأعمال الكاملة لماركس وانجلز ظهرت على فترات متباعدة، وفضلاً عن ذلك فإن بعض تلك الأعمال لم ينشر إلا بعد كتابته بما يكاد يقرب من قرن كامل ن فكتاب " الأيديولوجية الألمانية " (1845 – 1846) مثلاً، لم ينشر إلا في ثلاثينيات القرن العشرين وذلك بالرغم مما يمثله ذلك الكتاب من أهمية حيث أنه كتب، حسبما قال ماركس و انجلز، بقصد تصفية الحساب الفكرية مع

هيجل و التطهر من تأثيره . كما ان مخطوطات ماركس لعام 1857 – 1858 لم تنشر الا في عام 1939 باللغة الألمانية ، ولم يتم ترجمتها الي الإنجليزية و الفرنسية الا في ستينات هذا القرن ، وذلك بالرغم من ان ماركس وصف ذلك العمل بانه " ثمرة أبحاث خمسة عشر عاماً هي افضل سنوات حياتي " وذلك في رسالته إلي لاسال في 12 نوفمبر 1858 .

وثانياً : يعود السبب الثاني الي طبيعة النظرية الماركسية ذاتها . فهي متعددة الجوانب . ويصعب فهم اي جانب منها إذا أخذ علي حدة ، بل إن كتاب " رأس المال " بمجلداته الثلاثة رغم ما يمثله من اهمية بالنسبة للنظرية الاجتماعية يصعب الاعتماد عليه وحده في استيعاب نظرية ماركس . ودليل ذلك أن ماركس يحيل القارئ في إحدى المقدمات التي وضعها " لرأس المال " إلى عمل آخر نشره عام 1959 وهو " مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي " بوصفه يشمل افكاراً له عن المادية التاريخية وثالثاً : أن البعض قد يبحث عن منهج ماركس في عمل واحد من اعماله ولكن هذا الأمر قد يضل الباحث ، كما أن هناك بعض المبادئ المنهجية الهامة المعروضة في كتاب " رأس المال " ولكن معظمها تم طرحه بشكل غير مباشر ، أي أن ماركس لم يضع صياغة مستقلة لبعض المبادئ المنهجية التي استخدمها . وإنما طبقها وهو يعالج ما تناوله من قضايا وربما اكتفى بصياغته لجانب من تلك المبادئ في مخطوطاته لعام 1857 – 1858 . ولذلك لم يسرد معظمها في " رأس المال " . بشكل مباشر .

رابعاً : يعود السبب الرابع الذي نراه وراء عدم توافر امكانية التعرف الكامل على نظرية ماركس الاجتماعية إلى ارتباط فكرة بحركة سياسية . ولذلك كانت الانتقادات الموجهة إلى فكرة ترتبط وتتأثر في معظم الأحيان بمواقف سياسية مضادة ، وهنا تظهر أيضاً مسؤولية الماركسيين في عدم وضوح فكر ماركس ، فنتيجة لظروف سياسية معينة كانوا يمتنعون عن مناقشة بعض القضايا النظرية التي يثيرها خصومهم . وهنا تظهر أهمية ملاحظة جرامشي المفكر الإيطالي الذي يرى أن الجانب العلمي في الماركسية لم تتم متابعته وتطويره بالقدر الكافي .

غير أن هذه العزلة تضاءلت أخيراً إلى حد كبير ، وأبدى كثير من علماء الاجتماع في الجامعات الغربية اهتماماً كبيراً بالنظرية الاجتماعية عند ماركس كانت تهدف إلى إنشاء علم اجتماعي صارم ، وأنها أقرب إلى علم الاجتماع المعاصر من ذلك العلم الذي أراد كونت تاسيسه . وفي هذا الصدد يقول بوتومور وربل :

ولعل ما يبرر اتجاه ماركس الانتقادي تجاه موضوع علم الاجتماع كما فهمه أوجست كونت أن علم المجتمع عند ماركس يرتبط باهتمامات الاجتماع المعاصر أكثر من ارتباطه بتلك النظرية التي أطلقت عليه هذا الاسم

رابعاً: المقاربة الماركسية التقليدية:

جاءت الماركسية كاتجاه لوضع أساسات الارتقاء بالمجتمع وتفسير السلوك الإنساني اعتمدت في ذلك على أصول فلسفية تختلف عن أصول باقي المقاربات النظرية الاجتماعية. وتتركز أعمال الماركسيين على مفهوم الجدل "فن المناقشة" الذي يساعدنا على معرفة طرق التفسير وإقامة البراهين وقواعد النقاش والحوار، والمادية الجدلية ترى "أن الطبيعة ليست حاصله من تراكم الأشياء تراكم عفويا، بل إا مترابطة يؤثر بعضها في بعض، وأنها ليست ثابتة بل في تغير مستمر ينتقل من تغير اتكمية إلى تغير اتكيفية ظاهرة ومهمة، وهي سريعة وفجائية وتحصل بالضرورة " كما تستمد الماركسية التقليدية أفكارها ومعتقداتها من أفكار "كارل ماركس" و "فريديريك إنجلز" ونظريتها المعروفة حول المادية الجدلية التاريخية أي نظرية الصراع التي تقوم على الثورة والصراع بين الطبقات الاجتماعية (طبقة مالكي وسائل الإنتاج وطبقة العمال) لتحرير المجتمع من كل أشكال الاستغلال الطبقي وسيطرة بعض الجماعات الاجتماعية على حساب الأخرى. ومنه ساهمت الماركسية خاصة مع تطور الثورة الصناعية في "خلق نموذج معرفي وفكري يعتمد على أن الواقع الاجتماعي يتألف وكما أشير سابقا من البنى التحتية وهي الاقتصاد والعوامل المادية، ونمط علاقات المجتمع السائدة، وبذلك تصبح المنظومة الفكرية للمجتمع انعكاسا عن الواقع الاجتماعي بكل مكوناته، وتصبح التربية والتعليم آلية لإعادة إنتاج النظام القائم بكل مكوناته وإعداد أفراد المجتمع لمواقعهم الاجتماعية وتوزيعهم في مجالات العمل، أي أن قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج التي يعكسها أسلوب الإنتاج الخاص في الفترة التاريخية المحددة هي التي تتحكم في الأفكار والقيم ومختلف مكونات البناء الفكري للمجتمع "إضافة إلى ذلك فإن الماركسيين يعتبرون أن المدارس في النظام الرأسمالي تجعل النظام الاقتصادي يبدو شرعيا، وأن النظام التعليمي والتربوي كمجال اجتماعي ينتمي إلى البنية الفوقية ما هو إلا شريك رئيسي في إعادة إنتاج ما تصبو إليه الطبقة الحاكمة والمسيطرة في المجتمع الرأسمالي من إعادة إنتاج العلاقات والطبقات الاجتماعية السائدة.

¹ جعيني حبيب نعيم: علم اجتماع التربية المعاصر بين النظرية والتطبيق، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2009، ص 28 12

وعليه فإن التربية الماركسية عموماً رأت أن التعليم داخل المدرسة وخارجها هدفه تنمية ميولات التلاميذ الفردية ورفع استعداداتهم ومواهبهم، واعتبرت أن المعرفة المكتسبة من التعليم وظيفتها خدمة الإنتاج، كما أهملت الدين واعتبرته أفيون الشعوب وحرمت ممارسة الطقوس الدينية واعتبرت أن العلاقات الأسرية هي نوع من الصراع الطبقي بين الرجل (الطبقة الحاكمة) والمرأة (الطبقة المحكومة)، وهذه العلاقات يمكن أن تكون شكل من أشكال استخدام القوة ضد الآخرين.

خامساً: كارل ماركس وإسقاطاته في المجال التربوي

ولد ماركس من أسرة يهودية ألمانية واعتبر من أهم المنظرين الذين كان لهم فضل في نشأة علم الاجتماع من خلال تفسيره بأن الظواهر الاجتماعية لا تتغير بطريقة عفوية أو تلقائية وإنما بتأثير عوامل وقوانين تؤثر فيها، وكرس ماركس حياته لفحص ودراسة الإنسان في علاقته على المجتمع، وهذا الإنسان قابل للتطور والتحول لكن في إطار الجماعات والطبقات. ولقد ركز على عدة مفاهيم مثل الصراع والقوة... الخ، فالصراع عنده نشأ بين "الجماعات والطبقات وبين الأفراد نتيجة للاختلاف في المصالح بينهم من ناحية، ونتيجة لأن البعض يحاولون الوصول إلى أهدافهم وأغراضهم¹ الخاصة من خلال استخدامهم للبعض الآخر كوسيلة للوصول إلى ما يهدفون إليه من ناحية أخرى " كما يمثل مفهوم القوة مفهوماً مركزياً في طروحاته وتتجسد وجودياً بالطبقات الاجتماعية، " ويفترض أن مواقع الأفراد والجماعات من ملكية وسائل الإنتاج يحدد وضعهم الاجتماعي في بناء القوة داخل المجتمع، فإما ينتمون إلى² الطبقة المسيطرة أو الطبقة الخاضعة، ومعادلة القوة ذات بعد تاريخي لا يمكن تجاهله "، أي أن القوة في المجتمع هي امتلاك وسائل الإنتاج، مؤشر التصنيف في طبقات هذا المجتمع مرتبط أساساً بمفهوم القوة والذي تسيطر عليه طبقة البورجوازيين التي تمتلك وسائل الإنتاج وتستاثر بكل الصلاحيات والسلطات في الصرح الاجتماعي.

وقد قسم ماركس البناء الاجتماعي إلى مستويين، مستوى البناءات التحتية ومستوى البناءات الفوقية، ففي البنية التحتية نجد قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج ومالكي وسائل الإنتاج، والبنية الفوقية

¹ عبد الله بن عابض سالم الثبيتي: علم اجتماع التربية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط1، 2002، ص 13

² علي أسعد وطفة: النظرية الاجتماعية في التربية، مجلة نقد وتنوير - مقاربات نقدية في التربية واتمع، الكويت، أبريل 2005، ص 16.

تتكون من المفاهيم والأنظمة السياسية والتربوية، التعليمية والأخلاقية والعقائدية والإيديولوجية... إلخ. والعلاقة بين البنائين هي علاقة تأثير وتأثر، فالبناء التحتي له تأثير كبير على البناء الفوقي من خلال وضع أساسات النظم الموجودة في البنية الفوقية، كما أن هذا البناء الفوقي يعمل على وضع العناصر والمخرجات والإمكانات التي تتحكم في ظروف الإنتاج الموجودة في البنية التحتية.

و وظيفة التعليم حسب تصورات ماركس له وظيفتين، فالوظيفة الأولى هي أنه أداة إيديولوجية في يد الطبقة الرأسمالية التي تعمل على تربية وتعليم الأفراد كيفية اكتساب الإيديولوجية الرأسمالية، وإخضاع الطبقة الكادحة والإبقاء على امتيازات الطبقة الحاكمة، أما الوظيفة الثانية فهي أنه بفضل التعليم والمعرفة يتم تحرير أبناء الطبقة العاملة، مع إكسابها الإيديولوجية الشيوعية والإيمان بها، وضمان تعليم مجاني وموحد وموجه لجميع الناس حتى يرتقون في مستويها تهـم المعرفة والمهارية التي تمنحهم القدرة على تحمل المسؤولية في المجتمع. وفي كتابه الصراع الطبقي في فرنسا يبحث ماركس في "دور المدرسة كقوة روحية للإكراه، وهو في سياق ذلك إلى حدود التطبيع الإيديولوجي، وذلك لأن المعلمين كانوا يعانون من ملاحقة الحكام، وكان هؤلاء يلعبون دورا (مشطر حسن ، 20215، ص59) طبقيا يتعلق بطبقة الفلاحين " كما أن المدرسة والمعلم هما عبارة عن أنساق وأجزاء في البناء الفوقي تابعين لجهاز الدولة الإيديولوجي (الطبقة الحاكمة) هدفهم تعزيز ثقافة الطبقة المسيطرة وتكريس معتقدات وتمثيلات فلسفة وإيديولوجية الطبقة الحاكمة و "تحدد وظيفتها تبعا للنسق الاجتماعي المهيمن في حال هيمنة الرأسمالية تكون وظيفتها تسكينية للوضع القائم تركز القيم المهيمنة وتحافظ على المصالح، وفي حال هيمنة البروليتاريا تكون وظيفتها تغييرية للوضع الرأسمالي وثقافة احتكار وسائل الإنتاج، ولن يكون المعلم بعد ذلك بوصفه خبرة إلا وهو تابع لهذه الطبقة المهيمنة أو تلك " ويقول ماركس "ما الامتحان إلا تعميم بيروقراطي للمعرفة، واعتراف رسمي باستحالة المعرفة المدنسة معرفة مقدسة " فدور التعليم إجمالا هو تزويد وإكساب الأفراد أنواع المعرفة التي تزيد من مهاراتهم وكفاءاتهم والتي تساعد على ويساعد أيضا توجيههم للحياة الاجتماعية، كما أن هذا التعليم يخدم مصالح الفئة المسيطرة اقتصاديا وإيديولوجيا على الإيمان بكل أفكار ومعتقدات الدولة ومصالحها والارتباط الارتباط وثيقا أما فيما يخص الدين فإن ماركس ينكر إنكار الإله والغيبيات، وكل ما يتعلق بذلك ما هو إلا شديدا بوجود وعي زائف يلجأ إليه الإنسان حين يصيبه الضعف والهوان أمام واقعه الطبيعي ونظامه الإنتاجي، ويستعمله أيضا

حين يشعر باليأس والعجز أو يفقد شيء ما، وبالتالي فإن الهدف من ذلك هو دنة النفس الضعيفة والمضطهدة والغير قادرة على مواجهة تجليات الحقيقة إضافة إلى محاولة الهروب من الواقع باستخدام هذا الوعي المزيف والذي يتخيل الإنسان فيه بوجود قوة غيبية يسميها الإله، ويقول ماركس في ذلك بأن "الدين، بالطبع تعبير عن وعي الإنسان وشعوره حينما لا يجد ذاته أو يفقدها مرة أخرى... (الدين) هو الوجود الوهمي، (يتخيله الإنسان) كلما افتقد وجوده الحقيقي. وعليه فإن الحرب على الدين هي، وبطريق غير مباشر، حرب على مثل هذا الوجود (الوهمي) (الذي تقوم نكهته الروحية على الدين "ويصر ماركس على أن الإنسان لا بد أن يكون متحررا من كل أشكال الوعي الزائف، وقوانين الأنظمة الاجتماعية مثل الأسرة والتي يراها "نموذجاً للأنظمة التي يصنعها الإنسان لنفسه في حالة اغترابه وفقدانه للوعي بوجوده الحقيقي، كما أنه من النماذج الفردية التي صنع لها الإنسان مقابلاً غيبياً يكسبها مشروعية وجودها، وخلص الإنسان من هذا الوضع يكون بتدمير كل الأنظمة ولاسيما تلك التي لها مقابل غيبى مثل الأسرة 2" وفي هذا الإطار يدعو ماركس لإلغاء الأسرة التي تتكون من زوج وزوجة وأبناء لأنه نظام ابتدعه الإنسان يحمل في طياته نوع من العبودية، وهي حالة شاذة ناتجة عن تطور وسائل الإنتاج، كما العلاقات الأسرية وعلاقات الزواج هي علاقات تؤدي إلى الصراع والتنافس وفرض قرارات أسرية بالقوة واحتكار السلطات في يد شخص واحد (الأب)، هذه الأشياء يمكن اعتبارها شكل من أشكال الاضطهاد، واستخدام القوة ضد الآخرين وتجريدهم من الحريات التي يتمتعون بها .

المحاضرة الخامسة : المقاربة الراديكالية في حقل علم الاجتماع التربوية

<p>اولا: نشأة المدرسة النقدية (مدرسة فرانكفورت) ثانيا: الأسس التي يقوم عليها الاتجاه النقدي: ثالثا: المجالات النقدية لهذه المدرسة رابعا: روادها المدرسة النقدية خامسا: المقاربة النقدية الراديكالية وإسهاماتها في المجال التربوي</p>	<p>عناصر المحاضرة</p>
<p>في نهاية هذه المحاضرة سيتوصل الطالب الي التعرف على المدرسة النقدية والاسس التي تقوم عليها التعرف على اسهامات اهم روادها في الحقل التربوي</p>	<p>اهداف المحاضرة</p>

اولا: نشأة المدرسة النقدية (مدرسة فرانكفورت)

المدرسة النقدية أو ما يعرف بمدرسة فرانكفورت، هي حركة فكرية اجتماعية نقدية، نشأة
عشرينيات القرن الماضي (1923) في معهد البحث الاجتماعي بجامعة فرانكفورت، تعتبر من
ابرز التيارات السوسيولوجية المعارضة للفكر الوضعي المحافظ، فهي تيار ناقد و مجدد و مطور
للتوجه الماركسي في علم الاجتماع ، دمجت بين الفلسفة الماركسية والنظرية الاجتماعية والنقد
الثقافي، برزت كرد فعل على الأزمات الاجتماعية والسياسية في المجتمع الأوروبي، حيث قام
بتشخيص ونقد التناقضات التي تحكم المجتمعات الرأسمالية الحديثة و التي وصفت بأنها مجتمعات
كرست الهيمنة على الفرد من الناحية الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية عن طريق الوسائل و
الأدوات الحديثة والتكنولوجيات المعاصرة. رغم ظهور المدرسة في سنة 1923 إلا أن النشاط
الأكاديمي الحقيقي لها ظهر مع تولى **هوركهايمز** إدارة هذا المعهد في سنة 1930 حيث استطاع
قيادة مجموعة من أبرز المفكرين في ذلك الحين أمثال **هربرت ماركيوز ، فروم ايرك ، تيودور
ادورنو.**(الخشاب ،1965، ص.364)

ثانيا: الأسس التي يقوم عليها الاتجاه النقدي:

1- رأى رواد المدرسة النقدية بأن النظام الرأسمالي تطور إلى مرحلة احتكارية ليبرالية يعتمد فيها على السيطرة والهيمنة الإيديولوجية من أجل تكريس الوضع الرأسمالي القائم.

(البياتي، 2002، ص241)

2- هناك تباين بين رواد هذه المدرسة منهم من يتبنى العنف الثوري كأساس لتحقيق التغيير والبعض الآخر يؤمن بالطابع السلمي النقدي والمتمثل في كشف وفضح إيديولوجية السيطرة والهيمنة المنتجة للاوعي والاغتراب الاجتماعي.

3- يرى رواد هذه المدرسة أن سبب أزمة النظريات الكلاسيكية يكمن في:

أ- عجز النظرية السوسيولوجية في التوصل إلى نظرية سوسيولوجية شاملة تخص البناء الاجتماعي ككل.

ب- فصل النظريات السوسيولوجية الكلاسيكية عن الممارسات السياسية والإيديولوجية للبناء الاجتماعي القائم.

ج- فكرة الموضوعية في العلوم الاجتماعية وجعلها مطابقة للموضوعية التي تنادي بها العلوم الطبيعية.

ثالثا: المجالات النقدية لهذه المدرسة

1- نقد الفكر الوضعي و منهجياته: انتقد رواد المدرسة النقدية الفكر الوضعي الذي يقر بوحدة المنهج في كل من العلوم الاجتماعية و الطبيعية، وانتقدوا كذلك فكرة أن الإنسان كائنا سلبيًا منفعلًا تحكمه قوى اجتماعية وثقافية، فالوضعيون و الموظفين يرون أن الفرد لا يملك إلا حرية اختيار الوسائل لتحقيق الهدف المحدد مسبقا و الذي هو مفروض حتميا عليهم، أما النقاد يرون أن الفرد عليه أن يعيد النظر في الغايات و الوسائل، لذلك فالباحث أو المثقف يجب أن يكون له موقفا من الواقع الذي يعيش فيه و يدقق في القيم التي تحكمه و الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها.

(بوتومور، 2004، ص207)

2- نقد علم الاجتماع الكلاسيكي: يرى رواد المدرسة النقدية أن علم الاجتماع أصبح غير قادر على إدراك وفهم واقع البناء الاجتماعي وذلك بسبب:

أ/بسبب اهتمام الباحثين بالمنهج أكثر من اهتمامهم بالموضوع الأمر الذي جعل المنهج غاية في حد ذاته.

ب/ تقبل معظم علماء الاجتماع الوضع القائم ومحاولة إيجاد تبريرات له، وليس إخضاع هذا الوضع القائم إلى النقد والتحليل.

ج- اهتم علماء الاجتماع بالبناء الاجتماعي في حد ذاته دون الاهتمام بالعلاقة بين الفرد والبناء الاجتماعي أي بمدى تأثير البنية على وعي الأفراد.

د- اعتبر رواد النقدية بأن علم الاجتماع بخطابه أصبح جزء من الواقع القائم وليس خطاب علمي مستقل يعمل على إخضاع هذا الواقع للتشخيص والتحليل والنقد من أجل اكتشاف تناقضات الوضع الرأسمالي.

3- نقد بعض توجهات النظرية الماركسية: الرواد النقديون ركزوا على:

أ/ أهمية ودور الثقافة بمعناها الواسع كعامل مستقل عن العامل الاقتصادي في تشكيل الوعي في المجتمع.

ب/ أعطوا للثقافة دور أساسي في تشكيل الهويات الشخصية وعلاقة الفرد بالمجتمع.

ج/ بالإضافة إلى هاذين العاملين ركز هايرماس على أهمية اللغة والاقتصاد في تشكيل الجماعات والمجتمع.

4- نقد المجتمع الليبرالي الحديث والمعاصر: يرى الرواد النقديون أن المجتمعات المعاصرة

أصبحت تتميز بمايلي:

* استخدام واسع للتكنولوجيا

* تكاثر التنظيمات البيروقراطية

* ظهور شريحة من التقنيين والمهندسين والإداريين يستعملون هذه الوسائل التكنولوجية والعقلانية بوعي أو بدون وعي من أجل بسط الهيمنة أو السيطرة.

وبالتالي يرى النقديون أنه يجب على المثقف ان لا يكتفي بنقد الاستغلال الطبقي الرأسمالي بل عليهم أن يبذلوا جهود فكرية ونقدية لفضح الهيمنة الثقافية التي تمارسها الرأسمالية الجديدة من أجل السيطرة على وعي الأفراد؛ كما يرى النقديون كذلك أن المثقف عليه أن ينتج ثقافة جديدة تنشر الوعي الحقيقي من أجل إحداث التغيير المتمثل في تحقيق العدالة والمساواة ومن رواد هذه المدرسة نذكر على سبيل المثال “هورك هايمر”، “أدرنو”، “ماركوز”، “رايت ميلز”، “يورجنهبرماس” وآخرون وسنتطرق إلى بعض رواد هذه المدرسة.

4-1- ماكس هوركهايمر: Max Horkheimer

هو أحد أبرز مفكري مدرسة فرانكفورت، كان مديراً لمعهد البحث الاجتماعي من 1930-1958 يعتبر من المؤسسين الرئيسيين للنظرية النقدية، وهو يعد أحد مبتكري مفهوم النظرية النقدية، هذه نظرية التي تهدف إلى تحليل المجتمعات الرأسمالية الحديثة مع التركيز على كشف أوجه القمع والهيمنة فيها.

يرى هوركهايمر أن النظرية النقدية لا تأخذ بما هو ظاهر من أنظمة وعلاقات، وإنما تسعى إلى اكتشاف الخلفية الكامنة وأداتها في ذلك هي نقد هذه القشرة الخارجية، فالفلسفة النقدية لها وظيفة اجتماعية هامة هي نقد النظم والأوضاع الاجتماعية القائمة (الخشاب، 1965، ص552)، وقد وضح بأن هناك فرق بين النظرية النقدية والنظرية الماركسية، فالماركسية بالنسبة له قد وضعت تصوراً يجمل بعداً أحادياً للتاريخ وذلك بوصفه نتاج آليات اقتصادية فقط، ومن ثم فسر الوقائع الاجتماعية بوصفها نتائج اقتصادية فقط وذلك يتناقض مع التوجه النقدي الذي يرى أن الوقائع الاجتماعية ما هي إلا نتاج لقرارات اجتماعية اتخذت بحرية بعيداً عن العنف الثوري الذي اعتمدت عليه الماركسية بوصفه أداة للتغيير. (القريشي، 2011، ص341)

فرق هوركهايمر أيضاً بين النظرية الوضعية التقليدية والنظرية النقدية، معتبراً أن الوضعية تبنت مناهج العلوم الطبيعية للوصول إلى التفسيرات، ووضعت الأسباب الاجتماعية بوصفها أسباب خارجية عن نطاق العلم والمعرفة، على عكس توجه النظرية النقدية التي تركز على دراسة الإنسان بوصفه وحدة للتحليل والدراسة، فالمواقف الاجتماعية لا يمكن النظر إليها بصورة سطحية أو اعتبارها مادة علمية يمكن التحقق من صدقها في ضوء قوانين الاحتمال، بل أن هذه المواقف هي القوة التي يمارس بها الإنسان السيطرة على العالم الخارجي. كما يرى أن الهدف الأساسي للنظرية النقدية هو إسهامها في تحقيق نوع من إعادة بناء المجتمع، بحيث يصبح أكثر إشباعاً وخالياً من ضروب الاستغلال في العلاقات بين الناس وهي عملية تضع الإنسان على رأس كل نشاط اجتماعي، وتجعله محور تطور المجتمع البشري، فهو الكائن الواعي بذاته والقادر على إدارة أموره بنفسه. (الخشاب، 1965، ص554)

بالإضافة إلى ما تقدم يمكن أن نجمل إسهامات هوركهايمر في النقاط التالية:

-يرى أن النظرية الاجتماعية يجب أن تكون أداة للتحرر والتغيير وليست مجرد أداة لفهم العالم أو تفسيره.

-اعتبر أن الفلسفة والنقد الاجتماعي يجب أن يسعيا لتحقيق العدالة والحرية وليس فقط تحليل مجرد.

-دعا إلى ضرورة نقد الأنظمة الاقتصادية نقدا بناء قائما على أساس تحليل مضمون الأنظمة بصورة معمقة، ورفض الحتمية الاقتصادية في الماركسية الكلاسيكية.

-تناول مفهوم الاغتراب لدى ماركس لكنه ركز على الاغتراب الثقافي والنفسي للأفراد في المجتمعات الحديثة.

-يرى أن الثقافة الجماهيرية أصبحت وسيلة لتعزيز الهيمنة الرأسمالية، فوسائل الإعلام والترفيه في المجتمعات الحديثة أصبحت تساهم في تخدير الأفراد وتحويلهم إلى مستهلكين سلبيين بدلا من أفراد ناقدين فاعلين.

4-2-الفن جولدنر-Alvin. Gouldner

يعتبر **جولدنر** أحد أهم ممثلي التيار النقدي في علم الاجتماع، يعتبر موضوعه التأمل السوسيولوجي أبرز نظرياته الاجتماعية التي ظهرت نتيجة للأزمة التي خلفتها الوظيفية في علم الاجتماع الغربي، وهي تعطي للقيم الذاتية دورا هاما في تشكيل الحياة الاجتماعية، وتؤكد على أهمية الذات كمصدر مهم للمعرفة الصادقة. (البياتي، 2002، ص246)، ويعد كتابه الأزمة القادمة في علم الاجتماع الغربي الدعامة الأساسية في بناء النظرية الاجتماعية النقدية، لما يحتويه من أفكار وقضايا جديدة وتحليلات نقدية لمشكلات المجتمع، وتشخيص لازمة العلم وارتباطه بالأبنية التاريخية والاجتماعية، أي أن اتجاهه يميل إلى النقد السوسيولوجي أو النقد الداخلي. لقد حاول **جولدنر** إيجاد حل لما أطلق عليه بأزمة علم الاجتماع الغربي، من خلال تطوير التأمل السوسيولوجي الذي يقوم على التحرر من مخاطر الوعي الاجتماعي وتنمية وعي ذاتي سوسيولوجي لدى علماء الاجتماع. (الحسيني، 1985، ص205)

يؤكد **جولدنر** أيضا على ضرورة تحرير علم الاجتماع من المسلمات التقليدية المحافظة التي سيطرت عليه منذ نشأته، فلا يستطيع عالم الاجتماع الوصول إلى فهم حقيقي للمجتمع الذي يدرسه دون أن يمتلك فهما حقيقيا لذاته، ومن المستحيل تحقيق فهم عالم الاجتماع لذاته دون معرفة كيفية توجيه نفسه إزاء الناس الذين يتعامل معهم والمعرفة التي يستخدمها. (الحسيني، 1985، ص206)

لقد هاجم **جولدنر** الوظيفية البارسونزية بشدة معتبرا أن اهتمامها بتدعيم النسق الاجتماعي القائم قد جعلها تؤكد أهمية مصادر الاستقرار، متجاهلة بذلك مصادر التوتر والصراع، والنتيجة المترتبة على ذلك أن الوظيفية قد تحولت إلى نظرية اجتماعية محافظة بسبب قبولها ودفاعها عن النظم الأساسية في المجتمع المعاصر، فاهتمامها الفائق بموضوع النظام جعل من الصعب عليها مناقشة قضايا بالغة الأهمية كتوزيع الثروة، شرعية السلطة، الاغتراب... الخ، وتبدوا الرأسمالية في نظر وظيفية بارسونز وكأنها قوة هائلة قادرة على تحقيق النظام وإعادة الاستقرار إذا ما تطلب الأمر ذلك. (ليلة، 1991، ص311)

ويمكن تلخيص أهم أفكار جولدنر النقدية فيمايلي:

- لا يفصل **جولدنر** بين الفكر والعمل وبين محاولات تغير الواقع ومحاولات تغير النظرية.
- النقد الذي يطالب به ليس نقدا من اجل النقد، وإنما نقد يهدف إلى تخلص النظرية من إطارها التقليدي وان يبرز ما تحويه من جوانب ليبرالية تكون أساسا لنظرية جديدة.
- إن نقد علم الاجتماع لا ينفصل عن نقد المجتمع، فالنظرية عنده ما هي إلا نتاج المجتمع وإذا تغير أحدهما لا بد أن يتغير الآخر.
- النقد الذي دعا إليه **جولدنر** ليس نقدا كلاسيكيا، وإنما هو نقد يقوم على أساس جديد بمعنى أن يتم من خلال ربط علم الاجتماع باتجاهات تاريخية وبمستويات تنظيمية معينة وكأسلوب حياة لمجموعة من أفراد المجتمع.

4-3-ثيودور ادورنو

- هو أحد أعمدت مدرسة فرانكفورت، اشتهر بكتاباتة في مجالات الفلسفة وعلم الاجتماع والنقد الثقافي، والفن، لعب دورا محوريا في تطوير النظرية النقدية مع تركيزه على نقد العقلانية الحديثة من إسهاماته
- مع **هوركهايمر** صاغ مفهوم النظرية النقدية كوسيلة لتحليل المجتمع الحديث بهدف تغييره.
 - اعتبر الفلسفة أداة لفهم القهر والهيمنة في العالم وعليها أن تسعى إلى تحرير الأفراد من السيطرة الإيديولوجية.
 - يرى أن العقلانية الحديثة تحولت إلى أداة للسيطرة والقمع بدلا من التحرر.
 - اعتبر أن النظام الرأسمالي يستخدم العقلانية لأدواته لتقوية السيطرة على الأفراد وتحويلهم إلى أدوات في خدمة النظام.

- دعا إلى ضرورة تطوير المناهج في العلوم الاجتماعية لتطوير البحوث السوسولوجية كاستخدام طريقة تحليل المضمون والإحصاء واستخدام أساليب المقابلة والاستبيان.

4-يورغان هابرماس

يعتبر هابرماس مفكراً وعالم اجتماع متفرداً في قراءته للواقع الاجتماعي للقرن العشرين، وفي تقييمه للأطروحات الفكرية التي سبقته أو التي عايشها، بحيث انتقد الحداثة ولم يرفضها، وانتقد ما بعد الحداثة ومفكراتها واتفق معهم في بعض أطروحاتهم، أنتقد ماركس وبعض اليساريين لكنه صنف نفسه واحد منهم، وانتقد بارسونز وماركس وفيبر وتبنى بعض أطروحاتهم، ومن هذا المنطلق أعتقد جازماً أن هابرماس لا بد على الطالب الدارس في علم الاجتماع ألا يتجاوزه حتى يفهم تصوره وتصورات الآخرين وأطروحاتهم من خلاله.

1: الخلفية التاريخية ليورغان هابرماس:

ولد يورغان هابرماس في ألمانيا سنة 1929، درس في جامعة دوسلدورف وحصل على شهادة الدكتوراه وعمره 24 سنة أي في سنة 1953 في الفلسفة الألمانية بحيث قام بدراسة عميقة لمعظم فلاسفة ومفكري عصر التنوير مثل كانط وهيجل، عمل هابرماس كأستاذ مساعد في معهد البحوث الاجتماعية بفراנקفرت وزامل أدرنو، ثم أصبح أستاذ الفلسفة وعلم الاجتماع في جامعة هيدلبرغ الألمانية بين 1961-1964 وفي جامعة فرانكفورت 1964-1971. قسم الباحثين الحياة العلمية والفكرية لهبرماس إلى ثلاثة مراحل نوعية وهي:

- 1- مرحلة 01: نقد الشامل للفكر الوضعي.
- 2- مرحلة 02: بناء نظرية سوسولوجية خاصة به تقوم على أساس حركة تنويرية جديدة.
- 3- مرحلة 03: بدأها في منتصف الثمانينات أي بعد ظهور وتبلور تيار ما بعد الحداثة، وفي هذه المرحلة قام بتقييم الحداثة كما حدثت بالفعل، وليس كما صورها الفلاسفة، ثم انتقد أفكار فلاسفة ما بعد الحداثة الفرنسيين بالخصوص كجاك ديريدا، فرانسوا ليوتار، وبودريار

2: نظرة هابرماس لمفهوم العقل الأداتي (ايان، 1999، ص 244)

1- للعقل الأداتي : يجب الإشارة أن مفهوم العقل الأداتي ظهر عند كثير من علماء الاجتماع وفلاسفة القرن العشرين مثل ماركوز في كتابه الإنسان ذو البعد الواحد، وأدرنو ، هوركهaimer، هيدجر... الخ، وحسب هؤلاء أن العقل الأداتي هو العقل المهيمن في المجتمعات الحديثة الرأسمالية

بحيث فقد فيها العقل البشري دوره الأساسي وقدرته على إدراك الحقائق في حد ذاتها بكل حيادية وموضوعية، وأصبح مجرد أداة لتحقيق أهداف معينة، ثم أصبح تدريجياً بعد ذلك مجرد أداة لتوفير الوسائل. فالعقل الأداة هو منطق في التفكير وأسلوب في الحياة في المجتمعات الرأسمالية الحديثة الذي أصبح فيه كل شيء وسيلة. ووضح هابرماس سمات عامة للعقل الأداة وهي:

➤ **-العقل الأداة ينظر إلى الطبيعة والواقع من منظور التشابه والتماثل (كل شيء كيف كيف، (!!!) ولا يهتم ولا يدقق في الخصوصية التي تميز الأشياء عن بعضها البعض.**

➤ **-العقل الأداة يعمل على تفتيت الواقع إلى أجزاء غير مترابطة وينظر للإنسان باعتباره جزء كمي من أجزاء الطبيعة وليس له خصوصية أي ينكر الخصائص الثقافية والنوعية للبشر، فهو يقوم على تنميط الواقع وتبسيطه من أجل الوصول إلى حلول فورية دون الأخذ بالخصائص الاجتماعية والسياسية والثقافية كما قلنا.**

➤ **-فالعقل الأداة يقوم على الفصل بين العلاقة الموجودة بين الشيء وطبيعته وبين جوهر الحقيقة والمظهر فهو عقل لا يهتم إلا بالشيء والمظهر، وبذلك يصبح المظهر الخارجي وطبيعته هما اللذان يحكمان الأفعال في المجتمع على حساب المضمون.**

وبعد ما عرفنا العقل الأداة وسماته حسب النقادين وهابرماس فما هو موقف هابرماس من هذا العقل الأداة؟

إذا كان علماء الاجتماع وفلاسفة ما بعد الحداثة والنقادون بصفة عامة رفضوا وانتقدوا العقل الأداة ورفضوا حتى الوضعية والمنهج الوضعي، فإن هابرماس أخذ موقفاً مغايراً بحيث فصل بين الوضعية والعقل الأداة، فإذا كانت الوضعية التي أساسها العقل والعلم أحدثت القطيعة مع الفكر الميتافيزيقي والفكر اللاهوتي وعملت على بناء الحضارة والتقدم ليست هي المشكل في أزمة الحداثة الحالية، بل المشكل في العقل الأداة حسب هابرماس. وحتى العقل الأداة الذي تحكمه الأخلاق والمصلحة ليس المشكل فيه بالضبط وإنما المشكل يكمن في استخداماته، أي أين يستخدم هذا العقل الأداة أو في أي مصلحة؟ هل يستعمل من أجل تطوير المصلحة والمنفعة التقنية والتكنولوجية من أجل خدمة الإنسانية والسيطرة على الطبيعة؟ أي كوسيلة في خدمة البشرية جمعاء، أو يستعمل ويستخدم كوسيلة للسيطرة على الإنسان نفسه؟ فهابرماس يرى أنه لا بد على العقل الأداة أن يبقى في مجاله الطبيعي كأداة لخدمة الإنسان وليس كأداة للسيطرة على هذا الإنسان.

- نظرة هابرماس لماركس والماركسية: رغم أن هابرماس يعتبر من الماركسيون الجدد النقاد بالخصوص، إلا أنه وجه انتقادات للماركسية ولماركس وفي نقطة أساسية وجوهريّة وهو أن ماركس كما هو معروف يرى أن الفرق بين الإنسان والحيوان يكمن في **العقل الواعي**، فبالعمل الواعي يعيش الإنسان لذاته ومن أجل ذاته، ويجابه الطبيعة ويصنع التاريخ، وينتج التطور كلما طور من قواه الإنتاجية. إلا أن هابرماس لا يتفق مع هذا الطرح بحيث يرى أن العمل الواعي وحده لا يكفي من أجل صناعة التاريخ وإنتاج التطور، بل لابد من عامل آخر وهو اللغة والتواصل، فالتواصل هو العامل الحاسم في هذه القضية حسبه، كما أن هابرماس لا يتفق مع ماركس و لويس التوسر- بأن البنية الاقتصادية والاجتماعية هي المحدد والمشكل للبنية الفوقية من التكنولوجيا والثقافية، هذه الأخيرة ما هي إلا انعكاس للبنية التحتية، إلا أن هابرماس لا يتفق مع هذا الطرح كذلك بحيث يرى أن طبيعة العلاقة بين البنية التحتية والبنية الفوقية على حد مفاهيم ومصطلحات ماركس تحدد وفق نمط المجتمع ودرجة تطوره. ففي المجتمع الرأسمالي وفي المرحلة الأولى تكون البنية الاجتماعية والاقتصادية هي التي تتحكم في البنية الفوقية وتضبط القيم والمعايير الثقافية في المجتمع، أما في مراحل أخرى من مراحل تطور المجتمع تكون البنية الفوقية إما أن تكون تابعة منتجة من طرف مؤسسة الدولة في الرأسمالية في مراحلها المتأخرة أو القبلية أو البنية الاجتماعية القرابية في المجتمعات القبلية الأولية.

-نظرته لما بعد الحداثة وفلاسفتها: قبل أن نتعرض لموقف هابرماس من أطروحات فلاسفة ما بعد الحداثة، لابد أن نبيّن بان الحداثة وقيمتها بدأت تتعرض للنقد والإستهجان من طرف المفكرين والفلاسفة في منتصف القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، لأن هؤلاء المفكرين والفلاسفة بعد الحرب العالمية الأولى والثانية والدمار الذي خلفته هذه الحروب على العالم والبشرية أصيبوا بالإحباط والتشاؤم، لان فلسفة التنوير وما جاء به العقل لم يسعد البشرية ولم يقدم التقدم والرفاهية والحرية التي كانت تبشر بها فلسفة التنوير والوضعية، فعصر الحداثة كان من المفروض يكون عصر التحرر والإنعتاق من الهيمنة والعبودية، والعقل الوضعي كان من المفروض أن يجد الحلول للمشاكل اليومية باستخدام العلم، لكن في الواقع حدث العكس فهذه الحداثة جعلت نصف البشرية تعاني المشاكل والتعقيد، والنصف الآخر من المجاعة والحروب، كما أن نقاد الحداثة رأوا أن العقل والعلم الوضعي نقل البشرية من هيمنة اللاهوتية ورجال الدين إلى هيمنة العقل الأداتي، فكانت الحداثة محل انتقادات كثيرة، أولاً من رواد المدرسة النقدية، و

ذلك بداية من القرن العشرين إلى بداية المنتصف الثاني من هذا القرن، ثم تحول هذا النعي للحادثة إلى موقف فلسفي جديد ينادي بضرورة انطلاق عهد جديد مغاير لما سبق، و هو عهد ما بعد الحداثة و كان ذلك على يد المفكرين و علماء الاجتماع اليساريين الفرنسيين بالخصوص و على رأسهم فرنسوا ليويتار F.Loyotar في كتاب له بعنوان ظرف ما بعد الحداثة، وكتاب آخر بعنوان تقرير عن المعرفة فقد أقرَ بما يلي:

1 -سقوط النظريات الكبرى التي تقوم على التفسير الشمولي الكلي.

2 -أقرَ بنهاية فكرة الحتمية سواء في العلوم الطبيعية أو العلوم الاجتماعية.

3 - الإقرار بدور الثقافة في تفسير الواقع الاجتماعي بمعزل عن البنية التحتية.

موقف هيرماس في هذا الطرح الفلسفي الجديد: يرى هيرماس أن معايشة فلاسفة المدرسة النقدية لمشاكل عصرهم المثقلة بما خلفته الحروب الأولى والثانية وحالة التشننت والفقر والبؤس التي أصبح يعيشها البشرية، جعلهم يصابون بالإحباط والتشاؤم بأن الحداثة أفضت في نهاية المطاف إلى أسوأ ما كان عليه الوضع الاجتماعي والسياسي للبشرية قبل الحداثة، وأن العقل الحداثي خذل البشرية ولم يرقى حتى مستوى الدين فيما يخص:

1 -توحيد المجتمع

2 -تجاوز حالة التشردم والانشطار في المجتمع.

3 -الضبط القيمي والأخلاقي.

فموقفهم الراض للحداثة حسبه هو موقف انفعالي ومتسرع، أما موقفه من فلاسفة ما بعد الحداثة مثل نيتشه و هيدغر و كل الفلاسفة الفرنسيين الذين يتزعمون تيار ما بعد الحداثة مثل فوكو، دريدا، ليويتار، بودريار، و غيرهم فوصفهم بأنهم فلاسفة فوضويون فهو باختصار يرى ما يلي:

1-أن نظرة هؤلاء الفلاسفة كلهم تفتقر للتأمل الذاتي وإدراك واعى لأفكارهم وأطروحاتهم.

2-أن رفض الحداثة هو في الحقيقة رفض للأسس التي قامت عليها (العقل والعلم) وهذا لم يحدث ولن يحدث.

3-أن المطالبة بما بعد الحداثة كأنه هناك تغيير في روح العصر ومضمونه.

4-وأن كل ما هناك حسبه هو انحراف العقل عن الهدف الذي يجب تصويبه وتوجيهه إلى الهدف الحقيقي.

5-بدل التخلي عن مشروع الحداثة يجب القيام بالفحص النقدي لهذا المشروع وإظهار سلبياته و ايجابياته.

6-حسب هبرماس أن المشكل ليس في عقل الأدوات كما يرى النقديون وفلاسفة ما بعد الحداثة، بل المشكلة في استخداماته. أي أين يستخدم؟ وكيف يستخدم؟ فهو لا يرفض العقل الأدوات لأنه يرى أننا دائماً نستخدم العقل والعلم من أجل تحقيق غرض معين، فالعلوم التحليلية والتجريبية التي تقوم على العقل الوضعي الأدوات هي علوم ضرورية إذ استعملت في السيطرة على الطبيعة من أجل تحقيق غرض نفعي للبشرية سواء في تطوير الفلاحة والزراعة أو تطوير القدرات الطبيعية أو التعليمية إلى غير ذلك.

7-يرى هبرماس أن تطوير المعرفة وإنتاج النظرية يقوم أو تتحكم فيه ثلاثة مصالغ معرفية هي: 1-المصلحة التقنية: وهي متأصلة في العمل وتتطور من خلاله أي في مجال تطور العمل، وهذه المصلحة تؤدي حسه تطور العلوم التحليلية التجريبية الضرورية لحياة البشر.

2-المصلحة العملية: وهي متأصلة في اللغة والتواصل، وهذه المصلحة تؤدي إلى ظهور العلوم التأويلية وينصب اهتمام المصلحة العملية على التفاعل البشري الذي هو موضوع الدراسة السوسيولوجية. فإذا كان الاستغلال والسيطرة والهيمنة متأصل في العلاقة الاجتماعية حسب ما يراه الماركسيون، فإن المصلحة العملية متأصلة في التفاعل الاجتماعي حسب هابرماس، بحيث قد تقوم البنية الاجتماعية أو فئة معينة أو شريحة معينة بعملية التشويه والتضليل الإيديولوجي بشكل منظم وممنهج، وهنا تظهر مصلحة ثالثة وهي

3- مصلحة التحرر و الإنعتاق: وهي مصلحة مرتبطة بالتواصل و اللغة، و هذه المصلحة غرضها و هدفها تنقية و تخليص التفاعل من التشويش و التشويه، و هذا التشويش للواقع يحدث عندما تقوم فئة أو شريحة كما قلنا و هي طرف من أطراف التفاعل بإخفاء وقائع معينة عن الأطراف الأخرى المتفاعلة معها، و مصلحة الإنعتاق و التحرر تقود إلى ظهور نظرية جديدة أو علوم جديدة و هي العلوم النقدية القائمة على الفهم و التأويل كما رأينا سابقاً، إذن فالعلوم التحليلية التجريبية القائمة على العقل الوضعي الأدوات ضرورية للبشرية، و العلوم النقدية ضرورية من أجل كشف و فضح و محاربة انحرافات العقل الوضعي الأدوات. فعلم الاجتماع يمكن الإنسان من فهم ذاته بذاته بنفسه وبناء رؤية عميقة و علمية عن هذه الذات من أجل تشكيل تفاعل اجتماعي متحرر من التشويه و التشويش و منعقد و متحرر.

العقل التواصلي: إذا كان العقل الوضعي وفلسفة التنوير استطاع أن يحرر العقل والإنسان من هيمنة رجال الكنيسة من الوهم والخرافات الميتافيزيقية، لكن سرعان ما اتخذ هذا العقل طابعاً علمياً غرضياً أداتياً مهيمناً على العقل نفسه وبذلك فقد هذا العقل دوره التحرري وأصبح يسعى وراء الربح الاقتصادي والتجاري حتى يبيح المحظورات والممنوعات المضرة بالإنسان نفسه، وبذلك هذا العقل الغرضي الأداتي أصبح آفة على البشر. وبالتالي أن العقل التواصلي هو عقل يهدف ويعمل على تحرير الإنسان من جميع أشكال السيطرة والهيمنة سواء كانت تقنية أداتية، أو اجتماعية أو إنسانية أو ثقافية عن طريق اللغة والفعل التواصلي أثناء عملية التفاعل الاجتماعي وتنتجه أو تقوم به ذات فاعلة قادرة على الكلام والفعل.

الفضاء العمومي: يعتبر مفهوم الفضاء العمومي عند هبرماس من المفاهيم الإنسانية في تصورهِ النظري والذي أثري به النظرية السوسيولوجية وجميع العلوم الاجتماعية النقدية منها بالخصوص. فحسب هبرماس أن الفضاء العمومي هو المجال الذي يتحرك فيه ويعمل فيه العقل التواصلي من أجل تحرير الفرد من كل أشكال الهيمنة والسيطرة فهو مجال فكري للنقاش يتوسط المجتمع المدني من جهة والسلطة أو الدولة من جهة ثانية ويهدف باختصار إلى ما يلي:

- 1- تشكيل توافق عام حول القضايا التي تهم المجتمع من أجل الصالح العام وليس لمصلحة السلطة أو مصلحة فئة أو مصلحة شخص إلى غير ذلك.
- 2- أن الفضاء العمومي يعمل على بعث النقاش من أجل المصلحة المشتركة باستعمال العقل التواصلي النقدي.
- 3- الفضاء العمومي يتطلب مجتمع مدني قوي وطبقة سياسية منافسة منتجة لبرامج سياسية بدبلة لسياسة السلطة القائمة وبرامجها كما يجب التنبيه بأن الفضاء العمومي ليس أو لا يمكن أن يكون مؤسسة حزبية مثل صحيفة رسمية أو قناة رسمية أو برلمان... إلخ فهو فضاء حر ومستقل.
- 4- كما أنه يعمل كذلك على نقد كل السلوكات والأفعال والمعتقدات اللامنتطقية الشعبية أو الشعبوية وإعادة بنائها وتشكيلها وفق المنطق والعقل النقدي (إذن فهو ليس فضاء نقدي لأي سلطة مهيمنة فقط بل مجال نقدي لكل المعتقدات اللامنتطقية التي ليس منبعها العقل والعلم).

خامسا: المقاربة النقدية الراديكالية وإسهاماتها في المجال التربوي

ظهر الاتجاه النقدي في علم الاجتماع كرد فعل على مجموعة من التيارات الإيديولوجية والفكرية المفسرة للعديد من الظواهر الاجتماعية والتي كانت تدعو إلى واقع اجتماعي ثابت ومستقر ومنظم تنظيما نهائيا وأزليا، حيث رأت أن هذا الواقع لا بد أن يكون متغيرا وديناميكيا، به حركات اجتماعية تولد الصراع وتدعو إلى الحصول على واقع جديد ومغاير، ومخالف للوضع الاجتماعي القائم الذي يتصوره الرأسماليون من أنصار الاتجاه المحافظ. وتمثل مدرسة فرانكفورت الإطار الفكري والخلفية الإيديولوجية لأنصار هذه المدرسة النقدية، حيث ظهرت في السنوات الأولى من القرن العشرين بأوروبا والولايات المتحدة الأمريكية بقيادة "هوركهايمر" نتيجة لظروف اجتماعية وفكرية وثقافية... إلخ سعت من خلال تصورا ته إلى إعادة تحليل الأفكار الماركسية وتحليل الواقع الاجتماعي الرأسمالي الغربي، وقد اعتمدت في ذلك على المعرفة العقلية واعتبرت العقل مجرد وسيلة لفهم وتحليل الأشياء والظروف والعلاقات الاجتماعية ونوعية المؤسسات التربوية وعملية التغيير الثقافي وأنماط الحياة الاقتصادية والسياسية والإنتاج الثقافي والاستهلاكي، ودور النظام التربوي وعلاقته بالنظم الاجتماعية الأخرى. فهذه الاتجاهات النقدية "تلح على كشف الجذور الاجتماعية الموضوعية للمساواة في التربية، وأن نقدها شكل من أشكال التصحيح والتطوير وإن كان معقدا أو متشابكا" فالمؤسسات التربوية والتعليمية في المجتمع ما هي إلا نسخة طبق الأصل لما هو موجود في المجتمع، حيث تسعى إلى إعادة إنتاج العلاقات والطبقات الاجتماعية الموجودة في المجتمع داخل المؤسسات التعليمية، هذه العلاقات هي التي تمجد طابع القوة والسيطرة وتأخذ طابع الاحتكار والاحتقار من قبل مجموعة من الأفراد أو الفئات الاجتماعية على الغالبية الكبرى من أفراد الطبقات الاجتماعية. وعليه جاءت هذه المدرسة وبمختلف روادها وعبر مراحلها المختلفة لترد على الأزمات الاقتصادية والاجتماعية البناء والنقدي، معتمدة في ذلك على منهجٍ والتربوية، ولتحرر الفرد من كل إذعان وقهر وسيطرة من خلال التفكير البن تحليلي- نقدي وقادر على فهم الواقع الاجتماعي مع تحقيق التغيير اللازم والضروري لهذا الواقع - فأفكار هذه المدرسة هي عبارة عن رؤى وتصورات تركز على الممارسات الاجتماعية والسلوكات الإنسانية داخل المجتمع دفع إلى التأسيس لنظام اجتماعي متكامل خال، وقادر على الفحص من الأوضاع والمشاكل الاجتماعية السيئة النظري الدقيق مع ضرورة إنتاج أفراد اجتماعيين قادرين على إعطاء الأحكام النقدية. وقد ركزت هذه المدرسة على "تحليل الديمقراطية التي توجد في

الولايات المتحدة الأمريكية ورأت أنها ديمقراطية محدودة جدا على عكس ما يراه أفراد وطبقات هذا المجتمع بأم يعيشون في مجتمع ديمقراطي، ولقد ظهر هذا الاعتقاد نتيجة لدور المؤسسات التربوية والنظام التعليمي الذي كرس أساسا لإنتاج نوع من الشخصية الفردية التي تجد نفسها تشعر بأبين أنماط السيطرة أو التبعية أو الخضوع أكثر من شعورها بأنها تتمتع بالخاصية الاستقلالية أو المساواة "فعن طريق النظام التربوي ومؤسساته التربوية ومحتويات العملية التعليمية في المجتمع الرأسمالي يتم عرض النزعة الفردية أو الذاتية بصورة دائمة والتي تسهل عملية الهيمنة والسيطرة على عقول الأفراد والتبعية للنظام الرأسمالي. كما ركزت على "دراسة المؤسسات التربوية والنظام المدرسي ومراحل التعليم المختلفة، وظهور المدارس الشاملة الثانوية علاوة على تحليلهم نوعية المناهج والمقررات الدراسية التي وضعوها بأنها غير أكاديمية ولا تعبر عن موضوعات ذات طابع تقليدي متميز، ولا سيما المستويات العليا من التعليم في المدارس الشاملة... ومناقشة المشاكل المادية والاقتصادية التي تواجهها مؤسسات التربية والتعليم في المجتمعات الرأسمالية، ولا سيما مدارس المجتمعات المحلية التي يعيش فيها الأقليات السود" ويعتقد مفكرو هذه المدرسة بأن المثقفين والمتعلمين هم أنجع العناصر القادرة على إحداث التغيير والثورة على الوضع الاقتصادي والاجتماعي السائد، "فألية الخلاص الاجتماعي ليست الطبقة العاملة بل المثقفون والعناصر الأكثر تطورا من الطبقة العاملة فهم القادرون على التعرف على الإمكانيات الكامنة في الإنسان وعلى رؤية الماضي والحاضر والمستقبل "ولم ينس رواد مدرسة فرانكفورت مؤسسة الأسرة كمؤسسة تربوية لها ارتباط بالنظام الرأسمالي ولها أدوارها ومهامها، فهي المؤسسة التي تؤثر في شخصية الفرد الاجتماعي، وهي القادرة على تغيير الوضع القائم داخل النسيج الاجتماعي صول على قوة بن. " وداخل نفسها أيضا، ومن خلال بعض الفاعلين فيها يمكن الحصول على قوة بناء قادرة على إحداث التغيير وتجدر الإشارة إلى أن "الشخصية السلطوية الفعالة في الأسرة هي شخصية الأب... فالأب هو السيد في البيت لأنه يكون عادة كاسب الأجر"، فكاسب الأجر حسب فرانكفورتيين له كامل السلطات داخل الأسرة، ومن يفقد هذه (عبد الرحمان، 2007، ص321) القدرة الاقتصادية سيفقد لا محالة هيمنته وصلاحياته داخل الأسرة، وبالتالي فالسلطة داخل الأسرة مرتبطة ارتباطا قويا بالجانب الاقتصادي للفاعلين داخلها .

وإجمالا لكل هذا سعت هذه المدرسة إلى ترك أفكارها في عديد المجالات الاجتماعية ومنها النظام التربوي، حيث ربطت بين النظام التربوي وباقي الأنظمة الاجتماعية الأخرى، وتوصلت

إلى أن النظام التربوي بمؤسساته وعملياته يهدف لخدمة المسار المجتمعي العام للنظام الرأسمالي هذا من جهة، لكن من جهة أخرى يمكن عن طريقه وضع معالم للتغيير وإخراج أشخاص قادرين على منازلة وتغيير الوضع السائد في المجتمع .

بعض رواد مدرسة فرانكفورت وإسقاطاته التربوية:

ارتأينا في هذا العنصر أن نشير إلى بعض الرواد كل حسب المرحلة التي عايشها، ومن بين ذلك نجد - :

ماكس هوركهايمر : تعتبر المؤسسات التربوية والإعلامية والثقافية أداة للسيطرة الإيديولوجية وعن طريق نظام التربية والتعليم تفرض الرأسمالية سيطرا وهيمنتها وتسعى في نفس الوقت إلى تكريس النزعة الفردية في الفاعلين الاجتماعيين حتى تسهل من عملية الإيقاع بهم م واصطيادهم بسهولة وفي ظل النظام الرأسمالي حسب **هوركهايمر** فإن دور الأسرة كمؤسسة تربوية هو دور ضعيف وسلطة الأب هي سلطة ضعيفة داخل الأسرة على اعتبار أن كسب الأبناء لأجر ما أو استغلالهم اقتصاديا يفقد صلاحيات الأب داخل الأسرة، هذا ما توصل إليه من خلال الاستبيانات التي طبقها على المراهقين بصورة خاصة فهم "يصبحون أكثر استقلالا عن السلطة الأبوية ويصبحون في واقع الأمر قوة اقتصادية لا يستهان بها" وبالتالي فإن الرأسمالية تفكك بطريقة غير مباشرة الأسرة، فالاستقلال المادي للأولاد وتعدد انتماءاتهم خارج الأسرة من شأنه إضعاف هيمنة وسلطة الأب داخل الأسرة وتحطيم الحياة الأسرية، لذا يصر **هوركهايمر** وزملاؤه على التصدي لذلك وإنقاذ الأسرة من هذا الوضع المخيف، لتقوم بتأدية أدوارها وتربية الأطفال ليكون ورثة المستقبل في عالم اجتماعي متغير وأفضل من سابقه .

وأخيرا فإن **هوركهايمر** تغير في أيامه الأخيرة حيث "وجد في الدين الملجأ الأخير، وأصبح محافظا فدعم البابا في تنديده لموانع الحمل، ودافع عن حرب فيتنام، وأدان الراديكالية الطلابية عام 1968-2 "

يورغن هابرماس : لقد ناقش هابرماس أيضا العلاقة المتداخلة أو الدور الوظيفي للمؤسسات التربوية والاقتصادية والثقافية و وسائل الإعلام في عملية التحديث والتطور، حيث يتم إعداد أفراد عقلانيين ومثقفين متحررين وذلك بتوجيه من المؤسسات التربوية والتعليمية . قام هابرماس "بإعادة تأسيس النظرية النقدية على ما يسميه العقلانية 'نظرية التفاعل التواصلي وفيكته الهام التواصلية المرتبطة جوهريا بعملية التنشئة الاجتماعية التي يخضع لها الأفراد بصورة عفوية

وأساسية، وذهب إلى القول بأن عملية الاندماج الاجتماعي لا تتحقق إلا بواسطة التوافق أو التفاهم المتضمن للأفعال اللغوية للمشاركين والتي تفترض الاتفاق أو الإجماع بين هؤلاء المشاركين في عملية التواصل "وفي مؤسسة الأسرة التربوية أيضا فإن التبادل والتفاعل الرمزي واللغوي بين الوالدين من والأبناء أو بين الزوجين ضروري للتربية السليمة، فالتواصل الجيد بين الآباء والأبناء يرفع من المستوى العاطفي والشعوري بينهم، ويصم على علاقات هادفة، وردود فعل إيجابية، وتنشئة أسرية سليمة، حيث يتكلم الطفل بأريحية كاملة، ويعبر عن طموحاته وآراءه ويصارع بمشكلاته وأخطائه. فالرق قدر الإمكان جل الذي يبني علاقاته مع زوجته وأبنائه على التواصل والحوار الإيجابي من شأنه أن يضي المشاكل السرية، وباستطاعته احتواءها عن طريق التربية التفاعلية، كل هذا من أجل تأمين التربية السليمة، وتأمين بناء شخصية سوية للأطفال، ويساعدهم على فهم وإدراك ما سينتظرونهم في حيام الاجتماعية والتربوية.

-أكسيل هونيت : يرى هونيت ان الاعتراف آلية مهمة لبعث علاقات اجتماعية بن اجتماعي تربوي قائم على الاحترام المتبادل والتفاعل الجيد ومعرفة حاجات الآخرين وتوقع ردود أفعالهم، إضافة إلى الحد من الخلافات الاجتماعية والصراعات القائمة على الظلم والقوة، مع السيطرة على كل المشكلات التي تكون أثناء التفاعلات والعلاقات الاجتماعية. ويربط هونيت نجاح نموذج الاعتراف بوجود ثلاثة مبادئ معيارية؛ هي : الحب: والذي يعتبر علاقة تفاعلية متداخلة بين العلاقات العاطفية وقدرة الفرد على الشعور بقيمته (ومكانته التي تجعله يثق في نفسه...حتى يصل إلى مستوى احترام الذات. الحق: وهو نوع من الاعتراف المتبادل بين الذوات، حيث أنه اعتراف قانوني يضمن حرية الأفراد (واستقلالهم الذاتي...وذلك وفق المسؤولية الأخلاقية لكل أعضاء اتمع. التضامن: وهو الشكل الثالث من الاعتراف الذي يسمح للأفراد تحقيق ذوام والحصول على...التقدير (الاجتماعي والأخلاقي من طرف الآخرين. وبالتالي فالاعتراف بأشكاله الثلاثة مرتبط بتحقيق الثقة بالنفس واحترام الذات وأخيرا تقدير الذات. فالطفل داخل الأسرة لابد أن يحصل على الاعتراف في علاقته بالوالدين أو الإخوة، وذلك ببناء علاقات أسرية جيدة تمنحه الثقة بالنفس مع ضمان حرية واستقلاليته في طريقة تفكيره وإشباع حاجاته وحقوقه حتى يحترم ذاته، وأخيرا الحصول على تقدير الآخرين في علاقته والاعتراف بقيمة ما يقوم به حتى يصل إلى تقدير الذات

ويعبر هونيت على أن الأسرة هي المؤسسة التربوية الأولى التي يحصل فيها الفرد على الاعتراف وهي "التي تمكنه من تحقيق مقصد أساسي يتمثل في الثقة في النفس، والتي من دوا لا يستطيع أن يحقق وجوده الفردي والمشاركة في الحياة الاجتماعية أو الحياة العامة" وهذا الاعتراف كفيل بصد كل الآفات الاجتماعية نحو الزوال، وأساسي في الحد من المشكلات الاجتماعية كالعنف والانتحار... الخ - وداخل المؤسسة التعليمية فإن المشرفين التربويين من مديريين ومعلمين قادرين على إخراج أشخاص أكفاء لهم قدرات ومعارف عالية لو أحسنوا الاستثمار في هؤلاء المتعلمين بإتباع ثقافة (نموذج) الاعتراف، فالتفاعل والتواصل المبني على تقدير ذات المتعلمين والرفع من قيمتهم ومكانتهم داخل الحجرة الصفية وداخل المؤسسة التعليمية من شأنه رفع المستوى المعرفي والسلوكي للمتعلمين، كما أن المعاملة الجيدة داخل الحجرة الصفية، وإشاعة الجو الديمقراطي المناسب للعملية التدريسية المبني على الاحترام المتبادل وتقبل آراء الآخرين وإتباع أسلوب المناقشة والحوار وإعطاء حقوق الطلبة وتقييمهم بطريقة موضوعية، ومراعاة الفروق في مستويات وقدراتهم، والاهتمام بميولهم وإشباع حاجاتهم، وتقدير أعمالهم، والفرحة بنجاحهم، وإقامة علاقات معهم تقوم على الصداقة والمحبة، كل هذا من شأنه أن يأسس لحجرة صفية وعملية تدريسية أساسها الاعتراف بالأفراد وقوامها تقدير واحترام ذواتهم ونتيجتها الحصول على عملية تعليمية تعلمية ناجحة وذات جودة مركزها المتعلم ومحركها.

المحاضرة السادسة : المقاربة التفاعلية الرمزية في حقل علم اجتماع التربية

عناصر المحاضرة	1- تعريف التفاعلية الرمزية 2- أهم رواد التفاعلية الرمزية 3- الانتقادات التي أخذت على التفاعلية الرمزية وروادها 4- إسقاطات التفاعلية الرمزية في الحقل التربوي
أهداف المحاضرة	في نهاية هذه المحاضرة سيتوصل الطالب الي التعرف على التفاعلية الرمزية واهم روادها التعرف على إسقاطات التفاعلية الرمزية في الحق التربوي

تمهيد :

إذا كانت المنظورات الوظيفية والصراعية، تؤكد على أهمية البنى التي توجه المجتمع وتؤثر في السلوك البشري وتطرح نماذج نظرية حول الطريقة التي يعمل بها المجتمع برمته، فإن نظريات الفعل الاجتماعي تولى قدراً أكبر من الأهمية لدور الفعل والتفاعل بين أعضاء المجتمع في تكوين هذه البنى، كما أنها تركز على تحليل الأسلوب الذي يتصرف به الأفراد الفاعلون فيما بينهم من جهة، وفيما بين المجتمع من جهة أخرى.

1- تعريف التفاعلية الرمزية:

ظهرت النظرية التفاعلية الرمزية في بداية الثلاثينات من القرن العشرين على يد العالم جورج هربرت ميد ، وهي واحدة من المحاور الأساسية التي يعتمد عليها في تحليل الأنساق الاجتماعية، تبدأ بمستوى تحليل الوحدات الصغرى ومنها للوحدات الكبرى، بمعنى تبدأ بالأفراد وسلوكهم كمدخل لفهم النسق الاجتماعي، فأفعال الأفراد تصبح ثابتة لتشكل بنية من الأدوار، ويمكن النظر إلى هذه الأدوار من حيث توقعات البشر بعضهم تجاه بعض من حيث المعاني والرموز، وهنا يصبح التركيز إما على بُنى الأدوار والأنساق الاجتماعية أو على سلوك الدور والفعل الاجتماعي، ومع أنها ترى البنى الاجتماعية ضمناً، باعتبارها بنى للأدوار بنفس طريقة بارسونز Parsons ، إلا أنها لا تُشغل نفسها بالتحليل على مستوى الأنساق بقدر اهتمامها بالتفاعل الرمزي المتشكّل عبر اللغة، والمعاني، والصور الذهنية، استناداً إلى حقيقة مهمة، هي أن على الفرد أن يستوعب أدوار الآخرين.

تري النظرية التفاعلية الرمزية أن الحياة الاجتماعية التي نعيشها حصيلة تفاعلات بين البشر بعضهم بعض، أو بينهم وبين المؤسسات الاجتماعية في المجتمع، حيث أنها تنتظر لأدوار البشر بعضهم تجاه بعض من خلال المعاني والرموز التي قد تكون ايجابية أو سلبية. وطبيعة هذا الرمز والذي يحدد علاقتنا به أو بهم حيث قد تكون ايجابية أو سلبية اعتمادا على هذا الرمز أو الصورة الذهنية التي كونها عن هذا الرمز أو عن تفاعل معهم، فالتفاعلية الرمزية هي نظرية تعنى بالقضايا المتصلة باللغة والمعنى، فاللغة تتيح لنا الفرصة لنصل مرحلة الوعي الذاتي وندرك ذواتنا ونحس بفرادانيتنا كما أنها تمكننا من أن نرى أنفسنا من الخارج مثلما يرانا الآخريين والعنصر الرئيسي في هذه العملية هو الرمز (انتوني غدنز وكارين بيردسال، 2005، ص76)

2- أهم رواد التفاعلية الرمزية

عرفت التفاعلية الرمزية رواجها وانطلاقها الفعلية في نهاية خمسينات القرن الماضي مع بحوث 1 هواردس اموبليكر، ثم في الستينات مع غوفمان لكن تم تطويرها منذ بداية القرن مع الباحث النفساني الاجتماعي جورج هربت ميد، أما تسميتها فترجع لهربرت بلומר الذي صاغها سنة 1937 ،و كل إسهاماتهم جاءت كرد فعل على هيمنة الاتجاه البنيوي الوظيفي لبارسونز والذي يستند إلى الجانب النظري، وعلى الاتجاه الإمبريقي القائم على الطابع الكمي والإحصائي للبحث، وعلى هذا ينبغي على الباحث الاطلاع على أهم إسهامات روادها بشكل تفصيلي لإثراء رصيدهم المعرفي حول هذا الاتجاه.

2-1- إرفنج غوفمان والمنظور المسرحي: (1922-1982)

عالم اجتماع روسي تابع دراسته في شيكاغو تعمق في أعمال العديد من المفكرين السوسولوجيين وعلى رأسهم ميد و زيمل الذي أخذ منه المقاربة الميكرو سوسولوجية . اهتم غوفمان في كتابه "تقديم الذات في الحياة اليومية" بالأسلوب الذي يقدم به الشخص نفسه للآخرين ونشاطه في مواقف العمل العادية، والأساليب التي عن طريقها يضبط الفرد الانطباعات التي يشكلها الاخرين عنه، ونوع الأشياء التي يرغب أو لا يرغب في عملها اثناء إنجازه عمله أمامهم ، وقد استخدم لغة المسرح وتصوراته في تحليله السوسولوجي للأفراد الذين يقومون بتقديم أنفسهم إلى غيرهم من الأفراد ، ويرى أن الأفراد بمثابة الممثلين على المسرح، والجمهور في نفس الوقت ويهدفون اثناء تفاعلهم مع الآخرين إلى تقديم الصورة الأفضل على الذات (طلعت و الزيات، 2009، ص.127)

يعتبر التواصل قيمة ثابتة في أعمال غوفمان فقد حلل التفاعلات الاجتماعية وطقوس اللباقة والمحادثات، وكل ما يشكل شبكة العلاقات اليومية ، فالتفاعل في نظره منظومة تتأسس عن طريقها الثقافة وهذه المنظومة تمتلك معايير وآليات للتنظيم فالنقاش مثلا بصفته بؤرة انتباه يملك صفة فريدة ، لأنه يخلق بالنسبة لمن يشاركون فيه عالما وواقعا يشارك فيهما الآخرون أيضا .(كابان، فليب، 2010، ص119)، كما أن طقوس التفاعل هي مقدار من المناسبات لتأكيد النظام

الأخلاقي والاجتماعي ، ففي اللقاء يسعى كل فاعل إلى تقديم صورة قيمة عن نفسه هي الوجه(المظهر)، أو القيمة الاجتماعية الإيجابية التي يدعمها الشخص عمليا من خلال توجه الفعل الذي يفترض الآخرون انه تبناه في سياق لقاء خاص ، وأحد الرهانات الرئيسية للتفاعل هو تقديم صورة جيدة (كابان ، فليب ، 2010، ص120)

في كتابه المصحات النفسية يرى غوفمان أن الملاحظة بالمشاركة تصف بدقة الحياة اليومية للأفراد، فهي تقنية ينغمس عن طريقها الباحث في ثقافة ما بغيت فهم تجربتها المعيشية وقواعدها الداخلية. وفي كتابه الوصمة يتطرق إلى المعوقين نفسيا وبدنيا ويحلل التفاعلات الخاطئة بين الطبيعيين والموصومين. (كابان، فليب ، 2010، ص121)

تعد نظرية التمثيل المسرحي من النظريات المهمة التي تضاف إلى ميدان الميكرو سوسولوجي، لأنها تهتم بدراسة العلاقة بين شخصين أحدهما يحتل مكانة رفيعة والآخر يحتل مكانة أدنى، كما تضاف أيضا إلى ميدان علم النفس الاجتماعي لأنها تتطرق إلى دراسة المواقف بدل الجماعات الصغيرة و تحلل الحياة الاجتماعية وفقا للأدوار التي يمثلها الفرد في الحياة الاجتماعية اليومية، أي يمثل أدواره في المسرح أي الحياة الاجتماعية التي نعيشها علما بأن هذه الحياة تشهد نوعين من الأفراد: النوع الأول يتكون من افراد ناجحين يعرفون كيفية تمثيل الأدوار أمام الآخرين لا سيما أمام المسؤولين فيحصل على رضاهم واستحسانهم ، والنوع الثاني يتكون من أفراد فاشلين لا يعرفون كيفية تمثيل أدوارهم مع المسؤولين والمدراء فيثيرون سخطهم واستهجانهم وبالتالي إخفاقهم في الحياة وعدم تقدمهم في مجالاتها. (احسان محمد الحسن ، 2015، ص220)

2-2-جورج هربرت ميد (1863-1931)

من أشهر الرواد المؤسسين في الاتجاه التفاعلي الرمزي انتقل بين جامعة هارفارد و ليبزج ثم جامعه برلين، تأثر بأفكار ديوي وسمل و وليم جيمس وقدم بحوث عن أفكارهم. عمل مع ديوي

في جامعه شيكاغو. وقد جمع له تلاميذه كتابا بعد وفاته يحتوي على معظم أفكاره التي كانوا يدنونها في محاضراته تحت عنوان (mind self and societ)، كان تركيز ميد منصب على فهم التفاعل المتبادل والذات الاجتماعية داخل مجتمع يعايش أعلى مستويات التصنيع والتحضر ونزعات الإصلاح والنزعة العلمية والمثالية .

لقد ساهم هيربرت ميد في وضع المبادئ والأفكار الأساسية لنظرية التفاعلية الرمزية من خلال دراسته للذات في المجتمع كما يقيهما الفرد ودراسته للذات كما يقيهما الآخرون. بمعنى آخر أنا كما أقيم ذاتي وأنا كما يقيموني الآخرون، ويعتقد جورج أن الذات في المجتمع هي حصيلة تفاعل عاملين: العامل النفسي الذي يعبر عن خصوصية الفرد وشخصيته، والعامل الاجتماعي الذي يجسد مؤثرات البناء الاجتماعي المحيطة بالفرد. كما حلل ميد عملية الاتصال وقسمه إلى قسمين اتصال رمزي وغير رمزي عن طريق الأفكار والمفاهيم، وبذلك تكون اللغة هي وسيله الاتصال بين الأفراد رمزا لأنها تؤثر في الفرد كما تؤثر في الآخرين، من أهم أعماله " العقل والذات والمجتمع"، " فلسفه الفعل"، أضافه إلى أبحاثه في علم النفس الاجتماعي والفلسفة.

اعتبر ميد أن الذات الاجتماعية social self تتطور خلال سلسله معينة، ويتم التفاعل الاجتماعي خلال الاتصالات الرمزية واللغة، فمن خلال اللغة يتعلم الإنسان الاتجاهات والعواطف ومن ثم يصنع العقل mind و الذات، والذات الاجتماعية حسب ميد تتطور من خلال ثلاث مراحل (مرحلة المحاكاة في الأفعال، ومرحلة اللعب، ومرحلة الإلمام بقواعد اللعبة. the game stage,

-المرحلة الأولى: تعرف بمرحلة المحاكاة في العقل تحدث خلال السنة الثانية من العمر حيث يقلد فيها الطفل سلوك الآخرين المحيطين به مثل الآباء والأخوة والأخوات.

-المرحلة الثانية: تعرف بمرحلة اللعب تبدأ عندما يصل الطفل إلى السنة الثالثة وتتسم بميل الطفل إلى اتخاذ ادوار الآخرين حين يلعب دور الأم ودور المدرس او دور رجل الشرطة، في هذه المرحلة يبدأ الطفل في الخروج عن نطاق نفسه أي أنه يبدأ في الاهتمام باتجاهات الآخرين نحوه بوصفه موضوعا object ، واتخاذ دور الآخرين هو العملية في تكوين الذات، وفي مرحلة اللعب يكتسب الفرد مجموعه من الذوات selves، يتم التكامل بينهما .

-المرحلة الثالثة: تعرف بمرحلة الإلمام بقواعد اللعبة هي المرحلة التي تظهر فيها الذات ال موحدة unified self وفي هذه المرحلة يعمل الطفل على تبني اتجاهات كل أعضاء المجموعة

التي ينتمي إليها وعلى تصوره دور كل فرد في المجموعة والقيام به، وقد سمي ميد المجموعة الاجتماعية التي يكون الفرد من خلالها ذاته بالآخر المعمم. generalized other. ومن خلال هذا الآخر المعمم يمارس المجتمع الضبط على سلوك الأفراد والأعضاء فيه.

يرى ميد أن التنشئة الاجتماعية عبارة عن بناء للذات من خلال احتلال أدوار مختلفة باستمرار، فهي تدل على أن الفرد يمكن أن يكون الموضوع والمضمون في آن واحد "Subject et "Objet" فالأنا تتضمن مواقف المجموعة "الآخر العام" إضافة إلى السمات والعادات الخاصة بالمعني، أي البعد الاجتماعي لشخصية الفرد للفرد، لكن "الذات" تمثل عكس ذلك الجانب الفردي للشخصية وتشعره بنوع من الحرية والتذمر ومن ثم مخالفة، ومن هنا يقع بين مد وجزر، ومن خلال هذا البناء للهوية تظهر سلوكيات مختلفة عن بعضها، كلما زاد التفاعل بين الأنا والذات زاد التفاعل بين الفرد والمجموعة .

اعتبر ميد أن المجتمع ديناميكي وتطوري ومستمر في تقديم أنماط جديدة ومتغيره من النشأة الاجتماعية للأفراد ويلاحظ أن تلك النظرة الديناميكية والمعيارية للمجتمع تتوازي مع تركيز فيبر على المعنى والترشيد. يرفض ميد التوصل إلى مفهوم المجتمع الإنساني من خلال افتراض وجود العقول والنفوس المسبق. وعلى عكس ذلك، فإنه يصر على تقدم وأولوية الخبرات والسلوك الاجتماعي الأني والموجود. فعلية التفاعل الاجتماعي بين الكائنات الإنسانية، أو بمعنى أدق أشباه الكائنات الإنسانية، يجب أن يسبق وجودها وجود العقل والنفوس في الكائنات الإنسانية، وذلك حتى يصبح من الممكن للكائنات الإنسانية، أن تطور العقول والنفوس من خلال هذه العملية". وهنا لا يجب الخلط بين قدرات العقل والذكاء والوعي الذاتي بمسألة تطورها الفعلي. فالأولى ترتبط بالتطور الاجتماعي. العملية الأولى تقدمت وجعلت الأخيرة ممكنة، ولكن عندما تنبثق العقول والنفوس، تتداخل العمليتان وتعتمد كل على الأخرى .

اعتبر ميد أنه بالرغم من التنشئة الاجتماعية أي التطبيع الاجتماعي. فإن عمليات الذات تتضمن وجوها إبداعية وتلقائية تساهم في التغيير الاجتماعي. واختراع أنماط جديدة من التنشئة الاجتماعية وهكذا جعل الفردية الإنسانية لديها القدرة على المساهمة في استمرار الديناميكية الاجتماعية والتغيير.

مفهوم المجتمع عند ميد:

يشكل المجتمع الوجه الثالث والأعم لحقيقة الواقع الاجتماعي بعد الذات والعقل ويراه ميد ليس كما جاء لدى الوظيفيين بناءات ثابتة وإنما عملية دينامية متغيرة فهو نتيجة أفعال الإنسان والنشاطات المنظمة للآخر المعمم وتكيف وتوافق علاقاته وعمليات التفاعل هذه تشكل عمليات اجتماعية تتضمن التوافق , التكيف , التنافس , الصراع , التعاون , الإبداع وينتج عن هذا كله نظاماً وبنائات اجتماعية تمثل أطر أنماط التفاعل المنظم بينا لأفراد وهذه كلها عمليات دينامية متغيرة يعتمد استمراره أو تطورها على الذات والعقل فالحياة الاجتماعية هي محصلة عمليات التأويل والتقييم والتصنيف وتنظيم نشاطات الفرد محوراً قدرة الإنسان في تصوره لنفسه كفاعل وكموضوع لفعل، فإذا تمكن من بناء الرموز الدالة إذن وقع الفعل وهذا هو المجتمع واستمراره.

أما بلومر يرى أنّ البناءات الاجتماعية موجودة تمثلها الأدوار والمكانات والمعايير والسلطة وعلاقاتها، ولكن ليس كمحددات للسلوك وإنما كنتاج لعملية التفاعل، فالمعنى ليس متأصلاً بالموضوع إنما يقوم الأفراد بإعطاء المواضيع معاني ويتشكل المعنى الدال عندما يتفق أعضاء الجماعة عليه، فالمجتمع مكون من أفراد يملكون ذواتاً، والذات هي الآلية الأساسية لدى الفرد في رؤية وتصور نفسه وما يحيط به، وهذه الزوايا هي أساس تأويل أفعاله واستجابة الآخرين، إن الفعل هو إجماع الموقف الاجتماعية، والأفعال الجماعية هي عندما تتوافق معاني أفعال الأفراد، ولما كان الواقع الاجتماعي متغير إذن لابد من إعادة تحديد المعاني من خلال عملية التأويل وتشمل عملية التأويل فكرتين أو لاهما أنّ سلوك الإنسان لا يحدد بالتيارات الاجتماعية أو العوامل النفسية فلا يكون رد الفعل الإنساني لأمر كالخوافز والاتجاهات أو المنطلقات الفردية أو التراكيب اللاواعية لمتطلبات المكانة أو الدور أو الموقف، والثانية أن عملية التأويل فردية أساساً تمثل نشاطاً فردياً لأن الفرد يشكل سلوكه على أساس المعاني التي يحملها للمواضيع والمواقف بينما يرى ميد أنّها كعلاقة بين الفرد والبيئة وهذه بيئة مستقلة مرتبطة بذات الفرد فتدخل وتستدمج بالوعي والسلوك فيتأثر السلوك به لكن ليس حتماً . يمكن القول أن ميد اعتبر أن المجتمع يمثل نسق ديناميكي من التنشئة الاجتماعية، والذي في داخله تتشكل الذات الاجتماعية خلال التفاعل، واللغة أهم أدواته. وتتقدم التنشئة الاجتماعية خلال ثلاث مراحل متميزة ومن ثم يعتبر نموذجه نسقي ويركز على الوحدات الصغرى وقد حددته نظرة تطورية. وتبعاً لذلك فالحقيقة

الاجتماعية هي دائماً في حالة صنع وذلك استجابة لنشاط الفرد المبدع التلقائي في تطوير أشكال جديدة من التنشئة الاجتماعية والذوات الاجتماعية. (الخشالي، 2011، ص47)

2-3- أرلي رسل هوشيلد والعمل العاطفي 1940

من بين علماء الاجتماع الذين قدموا عملاً نظرياً جاداً حول العواطف ويعد كتابها القلب المروض للاتجار بالمشاعر الإنسانية عملاً طليعياً في هذا الاتجاه. تمثل نظرية العواطف لهوشيلد امتداداً للمنظور التفاعلي الرمزي، ففي الوقت الذي قدم فيه كل من غوفمان وفرويد وجهة نظر محدودة للعواطف تمثلت عند غوفمان في دراسة الارتباك والخجل بينما عند فرويد في تحليل القلق، فإن نظرية هوشيلد تشمل المدى الكلي للعواطف فهي تتضمن الحزن والكآبة والإحباط والغضب والخوف والخزي والعار والذنب والألم والحسد والغيرة والحب والشفقة والارتباك والخجل والقلق. (ورث ولاس، 2011، ص404)

على الرغم من أن دراسة العواطف ظلت لفترة طويلة موضوعاً أساسياً في التحليل النفسي، إلا أن علماء الاجتماع اهتموا بها في السنوات الأخيرة، حيث تناولوا الوظائف الاجتماعية لها وكيف تسهم العوامل الاجتماعية والثقافية في صياغتها والتعبير عنها. (عبد العظيم، 2012، ص01) فالعواطف وفق التحليل السوسولوجي تمثل رابطاً مفصلياً بين المجتمع والمجالات الأكثر شخصية في حياة الفرد، وترتبط بين الجوانب العقلية والعضوية في وجودنا، ولذلك فإن دراسة العواطف تمثل قضية بالغة الأهمية في فهم إشكالية العلاقة بين العقل والجسد وعلى هذا الأساس فقد تبلورت ثلاث نماذج للتحليل هي :

1- النموذج العضوي: يرى أن المشاعر تخلق وتحدث داخل الشخص ويتم الإحساس بها جسدياً ثم يتم تفسيرها بعد ذلك.

2- النموذج التحليلي أو التركيبي يؤكد أن المشاعر تتأسس اجتماعياً وأنها لا تعبر عن حالات داخلية وإنما عبارة عن معاني ثقافية يتم إضافتها على الأحاسيس حيث نجد أن الإحساس الواحد يمكن أن نضفي عليه معاني مختلفة. (الحب والغضب على سبيل المثال ليست أحاسيس عامة بل نضفي عليها معاني مختلفة في الثقافات المختلفة ويتم الإحساس بها في الغالب بأساليب تختلف من ثقافة إلى أخرى).

3-النموذج الثالث هو النموذج التحليلي الذي يتبناه التفاعليون الذين يفسرون المشاعر باعتبارها

ثمرة من ثمرات التفاعل بين البيئة والجسد. (عبد العظيم، 2012، ص3)

تركز هوشليد بشكل محدد على العمل العاطفي الذي تعرفه بأنه إدارة المشاعر من أجل خلق

عرض للجسد والوجه بحيث يكون ملاحظا وباديا للعيان. (ورث ولاس، 2011، ص405)، كما

تؤكد أيضا بأن الكفاح من أجل الإبقاء على الاختلاف بين الشعور والتظاهر يقود إلى إجهاد وتوتر

الناس في المهن التي تستدعي عملا عاطفيا، وقد أطلقت على هذا الاجهاد والتوتر التشتت

العاطفي، "ونحاول اختزال هذا التوتر عن طريق تغيير ما نشعر به أو تغيير ما نتظاهر به".

3-الانتقادات التي أخذت على التفاعلية الرمزية وروادها:

1-أكدت التفاعلية الرمزية على أن المجتمع تفاعل رمزي دون أن تشير إلى أنماط الظروف.

2-الغموض الذي اتسمت به أطروحات التفاعلية الرمزية وكيفية تشكيل التنظيم الاجتماعي وتغييره

فهناك غموض بين عملية التفاعل ونتائجها.

3-عدم صياغة براهين وحجج كافية حول كيف وإلى أين وما هي عمليات التفاعل التي تعمل على

تكوين واستمرار وتغيير أنماط التنظيم الاجتماعي المتنوعة والمتباينة.

4-تقليل التفاعلية الرمزية من شأن الأبنية الاجتماعية، بحيث تجعلها موضوعات ناتجة من

اتجاهات الفاعلين، والأشياء تتشكل كنتيجة للتفاعل.

5-عدم ربط التفاعلية الرمزية بين الأبنية الاجتماعية والعمليات الاجتماعية واقتصارها على تأكيد

وجود كل منها.

6-رغم اهتمام علماء التفاعلية الرمزية بالجوانب النفسية للذات إلا أنهم أكدوا انتمائهم

السوسيولوجي من خلال الحرص على فهم الذات الفاعلة من خلال التفاعل بوصفها أي الذات،

مركب اجتماعي صرف، مع بعض الإيحاءات النفسية والبيولوجية عند ميد، ويبدو أن التركيز

على الجوانب الاجتماعية جعل من صورة الفاعل عند علماء التفاعلية الرمزية متجزأة، إذ ركز

التفاعليون الرمزيون على رؤية الذات من خلال الوجه الاجتماعي في حين تشير الدراسات

الحديثة إلى تكاملية رؤية الشخصية في ضوء ما هو موروث وما هو مكتسب.

7-إن الأفراد يسلكون سلوكيات معينة دون تخيل صورة الآخر، أو انه قد يتخيل أو يتوقع ردة الفعل

الخاصة بالآخرين ولكنه يسلك سلوكا مغايرا للتوقع الذي يفترضه الآخر، مثل هذا التصور و

التأويل لم تنتبه إليه التفاعلية الرمزية في حين انتبه إليه (بارسونز) في نظريته عن الفعل

الاجتماعي وخاصة في النظرية الإرادية للفعل ، التي تقوم على تعريف الفاعل للموقف التفاعلي متأثراً بالعالم (ماكس فيبر) إذ ادخل بارسونز) مفهوم النفعية والعقلانية في وصف وتحديد سلوك الفرد أثناء التفاعل وهذا يعني إن النفعية قد تقتضي سلوكاً غير متوقع من قبل الآخر ، لان الآخر قد درج بحكم العادة على نمط سلوكي معين ، في حين إن مصلحة الفرد قد تترك تصورات الآخرين عن تصرفه بإبدال السلوك المتوقع بسلوك آخر يحقق نفعية أكبر للمتصرف.

8- من الجوانب الأخرى التي لم ينتبه إليها التفاعليون الرمزيون، باستثناء زميل، هي مكانة الفرد الاجتماعية وأدواره المترتبة على تلك المكانة وأثرها في تشكيل ذاته فالإنسان يتأثر إلى حد كبير بطبيعة الدور الذي يؤديه، وعندما ينتقل الفرد من مكانة إلى أخرى جديدة فإن ذاته أيضاً تتعرض إلى التغيير النسبي باختلاف الأشخاص والمكانات، كما تدخل اعتبارات جديدة في السلوك تجاه الآخر ومدى الاهتمام بتقييمه لسلوكنا، هل هو أقل منا مكانة أم أعلى؟ هل يوجد تشابه في الأدوار أم لا؟ إن المكانات والأدوار تؤثران في أولويات الفرد ومقدماته النفعية والعقلانية مما يسمح بإعادة تقويم الآخر وإعطاء تقييم جديد له يختلف عن التقييمات السابقة.

9- رؤية التفاعلية الرمزية تجعل أحكامها اجتماعية وهذا يتناقض مع الحتمية إذا أن القدرات الرمزية للتفاعلين يتبع إدخال عناصر استثنائية غير متوقعة في الموقف التفاعلي مما يمكن له أن يغير مجرى التفاعل في أي لحظة.

10- العامل الآخر الذي ركز عليه علماء التفاعلية الرمزية هو تصورات الآخرين عن ذاتنا ودورها في تشكيل وعينا بذاتنا وفهمنا الموضوعي لشخصيتنا وهذا أمر أوقع القارئ للتفاعلية الرمزية في إرتباك الفهم النفسي الاجتماعي لما بعد تصورنا عن تصورات الآخرين حول ذاتنا ، أي ما يتبع تقييم الذات من قبل الآخرين ، بمعنى آخر إن التفاعليين الرمزيين لم يوضحوا الأثر النفسي الذي تتركه تقييمات الآخرين حول ذاتنا بل وحتى الأثر الاجتماعي للتصور الاجتماعي حول الذات، كما لم يتم تحديد من هم الآخرون الذين يعول عليهم الفرد في التقييم وعكس صورة الذات سلباً كان ذلك أم إيجاباً . وقد يكون (كولي) أكثر وضوحاً في هذا الجانب عندما أكد انعكاس صورة الذات على مرآة المجتمع مع التركيز على الجماعة الأولية بوصفها الجماعة التي تسهم بشكل أكبر في تصميم الشخصية ، بمعنى إن الجماعات التي يعيش فيها الإنسان في مراحل مبكرة من حياته تكون أكثر تأثيراً في تشكيل صورة الذات فالفرد يهتم بتقييم الآخرين القريبين منه والذي يهمله رأيهم في تصرفاته وسلوكياته وأراءه ، كالعائلة والأصدقاء ولكن في المجتمعات الحديثة

بالذات لم تعد الجماعات الأولية هي فقط صاحبة التأثير في سلوك الإنسان ، وتكوين شخصيته بل أخذت مؤسسات وجماعات أخرى تلعب دورا فاعلا في عكس صورة الذات مثل مؤسسات العمل والجامعات والمدارس ، وهذا يعني إن الأشخاص قد يغيرون أنماطهم السلوكية في ضوء تفاعلاتهم الجديدة .

4- اسقاطات التفاعلية الرمزية في الحقل التربوي

تدور فكرة التفاعلية الرمزية حول فكرة دراسة الطرق التي يستطيع من خلالها الفرد أن يبني تصورا وفهما دقيقا عن ذاته وعن عالمه الاجتماعي المحيط به، من خلال عملية التفاعل الرمزي في الواقع الاجتماعية - وفقا لطبيعة فهم العلاقة الحقيقية بين الرموز وما تعنيه ، وتحمله تلك الرموز من معان بالنسبة للمتفاعلين في المواقف الاجتماعية .، و انطلاقا من هذا نجد التفاعلية الرمزية تهتم على وجه التحديد بضرورة اكتشاف معاني ومقاصد نوايا الأشخاص في المواقف الاجتماعية من خلال الملاحظة الدقيقة لسلوكهم والفهم المتعمق للحقيقة الاجتماعية التي يوجدون فيها، وفي هذا السياق قادمة هذه الأخيرة دراسات نفسية واجتماعية في مجال التربية والتعليم " لمحاولة فهم وتشخيص طبيعة ما يحدث من عمليات التفاعل بين الطلاب في الصفوف الدراسية، وتأثير ذلك على بناء شخصياتهم، إضافة إلى دراسة آلية التفاعل الرمزي داخل الحجرة الدراسية ، على ضوء القواعد التي يحددها المدرس ويميز بها بين التلاميذ على ضوء عملية الفهم والقصد المميز للوعي والشعور لديكم من الطالب والمعلم

وتصب التفاعلية الرمزية شرحها للعملية التربوية والتعليمية بأنه يمكن وصف الحياة التربوية كما يحياها التلميذ ويتطور معها من سنة لأخرى، فيتأثر بالنظم والمعارف والأخلاقيات الموجودة في المؤسسات التربوية، والفعل التربوي وقف هذه النظرية يتمثل في التوجه السلوكي داخل المؤسسة التربوية وهو ما يعرف بأساليب التدريس، حيث يكون المدرس مطالب ومهتم بتشكيل الطالب والبيئة التي يتم فيها التعلم لتكون بيئة منظمة ومرتبطة، إضافة إلى مكونات التعليم التي لا بد من وجودها في العملية التربوية هي

1-**التوجيه:** وهو عملية نقل الخبرة الاجتماعية ونقل الثقافة ونقل المنهج الذي يساعد الطلبة على الاندماج والتطبيع في العادات والتقاليد.

2-**العمليات المعرفية:** وهي تركز على تنمية المهارات المعرفية على الاستقلالية العقلية.

3-التوجه التطوري: وهي تدور حول مرور الأطفال بمراحل متميزة بدءا من مرحلة الذات ثم مرحلة المعرفة وأخيرا المرحلة الخلقية بهدف تحقيق التكامل والانسجام .

بالإضافة الي ماسبق نظر "والار" ايضا إلى المعلمين والتلاميذ على أم كائنات بشرية تعيش سوية، وأنهم يمارسون حياة إنسانية وأنشطة اجتماعية، لذا لابد من الاهتمام بالمعلمين لإكسابهم المعارف والمهارات المتطلبة لممارسة العملية التعليمية ، كعملية اجتماعية تقوم على الاتصال والتواصل الاجتماعي مع بعضهم البعض في بيئة تعليمية اجتماعية تتضمن علاقات اجتماعية ومعرفة خاصة بشخصيات هؤلاء التلاميذ، و تحقيق الأهداف المحددة من التعليم والتدريس، كمت انه يؤكد على أهمية الناشط الاجتماعية داخل القسم الدراسي، كالتعلم الجماعي والتعاوني بين التلاميذ كوسيلة لزرع فيهم روح التضامن و التعاون، والمشاركة الاجتماعية الإيجابية سواء في مجتمع القسم أو في المجتمع الأكبر الذي يعيشون فيه.

وعليه يؤكد أصحاب هذه النظرية على أهمية التطبيع الاجتماعي للتلاميذ وتكيفهم الاجتماعي مع جميع العناصر التعليمية داخل الحجرة الصفية أو المؤسسة التعليمية، وضرورة توفير مناخ ملائم للعملية التعليمية يساعد على التفاعل الاجتماعي وتجاوز المشكلات الاجتماعية على اعتبار أن نظرتهم للتعليم والتدريس نظرة اجتماعية وهو عملية اجتماعية تتطلب من الفاعلين فيه ممارسة أدوار اجتماعية وامتلاك مهارات لازمة لذلك.

المحاضرة السابعة: الإثنوميتودولوجية في حقل علم اجتماع التربية

عناصر المحاضرة	1: الجذور الفكرية لنظرية الإثنوميتودولوجية 2: مفهوم الإثنوميتودولوجيا 3: منهجية الجماعة واللغة 4- أفكار النظرية الإثنوميتودولوجية 5- المناهج المستخدمة في الدراسة الإثنوميتودولوجية 6- الانتقادات التي وجهت للإثنوميتودولوجيا 7- هارولد جار فنكل والإسقاطات التربوية
اهداف المحاضرة	في نهاية هذه المحاضرة سيتوصل الطالب الي التعرف على الاتجاه الإثنوميتودولوجي ورواده التعرف على اهم اسقاطاته في الحقل التربوي

مدخل عام :

يعتبر الاتجاه الإثنوميتودولوجي من أحدث الاتجاهات والتصورات التي ظهرت في علم الاجتماع، و لايزال لحد الآن أنصار هذا الاتجاه قلة من حيث العدد، إلا أن أفكارهم ينظر لها على أنها ذات طبيعة راديكالية متميزة عن غيرها، من اهتمامات هذا الاتجاه، أنه يدرس الطرق والوسائل والإجراءات التي يستخدمها أعضاء المجتمع في توضيح معنى عالمهم الاجتماعي الذي يعيشون فيه، وفيما يقومون به من أنشطة، ومن ثم يرون أن ممارسات الحياة اليومية للناس هي التي تشيد الواقع الاجتماعي، عكس البنائية الوظيفية التي تعتقد أن الواقع الاجتماعي هو الذي يؤثر سلوك الناس ونشاطاتهم اليومية.

1: الجذور الفكرية لنظرية الإثنوميتودولوجية

ظهرت هذه النظرية كاستجابة لظروف اجتماعية ظهرت في المجتمع الأمريكي نتيجة للاثمات التي مرت بها المجتمعات الغربية، خاصة الأزمة الأخلاقية والسياسية والاقتصادية والعرقية والتمييز العنصري والهوية الثقافية في هذا المجتمع المعقد، والتي أخفقت الكثير من النظريات في معالجتها، فظهرت النقدية و الإثنوميتودولوجية وغيرها لتبرير الواقع وفهمه، وقد ارتبطت نشأتها بأعمال **جارفينكل** 1952 كمحاولة لإعادة تحديث الأفكار والمسلمات النظرية الفينومينولوجية. كما ارتبطت جذورها بصورة خاصة بالفينومينولوجيا والتفاعلية الرمزية، تلك النظريتين انتشرتا في

المجتمع الأمريكي نتيجة لهجرة مجموعة من الشباب الألمان والذين أسهموا في إنشاء مدارس
سوسيولوجية متميزة.

الاثنوميتودولوجية تعني ما يقوم به الناس في الحياة اليومية من نشاطات بشكل مستمر، أي هي
عبارة عن مجموعة الأفعال التي تقوم بها هيئة معينة، واستخدامها كنوع من المعرفة والوسيلة،
التي يمكن عن طريقها فهم شؤون المجتمع الذي توجد فيه، وهذا النوع من المعرفة التي نحصل
عليها بمراقبة فئة معينة التي تحدث في مستويات معينة تساعد على التحليل والتعليق والتقييم.

2: مفهوم الاثنوميتودولوجيا

الاثنوميتودولوجيا هي تيار سوسيولوجي تطور خلال سنوات الستينيات 1960 في جامعة
كاليفورنيا عن طريق اثنين من رواده وهما **أرون سيكوريل (A.Cicourel)** و **هارولد
جارفنكل (Garfunkel.H)**، الاثنوميتودولوجيا هي دراسة مناهج الناس ومعالجة الطرق التي
يفهمون بها عالمهم، استعمل هذا المصطلح لأول مرة ليحدد المناهج التي تساعد على عقلنة
الأشياء، الخاصة بالحياة اليومية، كالحوض في حوار أو تسليط الضوء على قضية إجرامية، وكلمة
الإثنوميتودولوجيا معناها منهجية لدراسة النظام الاجتماعي أو الواقع الاجتماعي وتعني أنها تهتم
بالمواقف العلمية في الحياة اليومية ولكن بطريقة اجتماعية ويحدد " **جارفنكل** " منهجية النظام
الاجتماعي ب:

1- الفهرسية: أي تخصص لغوي لها معنى لغوي محدد أو ما يسميها بالتعبيرات الفهرسية.

2- البصيرة أو الانعكاسية مثلا أنا وقفت في طابور عند الخباز أنا أشرك في تكوين هذا النظام
وأدعمه ومجبر عليه بطريقة عفوية كأن هذا النظام انعكس عن سلوكي.

يرى بعض المنظرين من أمثال **رويترنر** أن البدايات الأولى لاستخدام مفهوم

الاثنوميتودولوجيا يرجع إلى الكتابات المبكرة التي قام بها **هارولد جارفنكل** في عام 1945 وذلك

أثناء دراسته وتحليله لشرائط المداولات لهيئة المحلفين، حين طرحت أمامه لأول مرة فكرة

ومفهوم الاثنوميتودولوجيا، حيث كان مهتما بتحليل مادة المداولات وبكيفية معرفة هيئة المحلفين

، وماذا يفعلون خلال عملهم في هذه الهيئة، وبمعنى آخر لقد اهتم **جارفنكل** بمجموعة الأفعال التي

تقوم بها هيئة المحلفين وتستخدمها كنوع من المعرفة والوسيلة التي تستطيع عن طريقها فهم كيفية

تنظيم شؤون المجتمع الذي توجد وتعمل فيه، حيث ركز في دراساته على الهيئة وعلى نوعية

المعرفة وأساليب معرفة المداولات، وقد انتشر استخدام هذا المفهوم بصورة كبيرة مع تعدد

دراسات **جارفينكل** ،لقد حرص **جارفينكل** على استخدام الاثنوميتودولوجيا كمفهوم عام ومدخل نظري ومنهج بحثي تحليلي للعديد من الخصائص والإجراءات والوسائل التطبيقية، بالإضافة إلى تحديد مفهوم الاثنوميتودولوجيا نجد أصحاب هذا المنظور قد قاموا بتطوير بعض المفاهيم الأساسية مثل مفهوم الفعل المنعكس ومفهوم البيئة المرتبطة بالمعنى.

3: منهجية الجماعة واللغة

إنّ الأثنوميتودولوجية هي اتجاه في الدراسة الاجتماعية تحاول أن توضح كيف يفهم الناس ما يقوله الآخرون ويفعلونه أثناء التفاعل الاجتماعي اليومي وتهتم هذه المدرسة بالمنهجيات الجمعية أو الشعبية وضمن هذا الإطار أجرى اثنان من علماء الاجتماع الأمريكيين المحدثين هما **ميتشل دونبير** ، **هارفي مولوتش** دراسة على أوضاع اجتماعية عادية يقوم فيها بعض الأفراد بإشاعة الفوضى في قواعد التحادث والتبادل والتفاعل بين **السابلة** في عدد من الأحياء بين فئات من الناس من ذوي الخصائص الاجتماعية المتميزة مثلاً مجموعة من الرجال السود من المدمنين على الكحول والمخدرات وعدد من النساء البيض اللواتي كن يعبرن الطريق أمامهم فقد بادر الرجال النساء بالحديث وحاولوا اجتذاب اهتمامهن بعبارات لطيفة وبكلمات إطراء ودودة ما لذي حدث؟ الذي حدث هو عزوف النساء عن التجاوب مع بوادر التفاعل هذه وأخذن يحثنا لخطى لتجاوز الرجال والابتعاد عنهم والذي لاحظته المؤلفان **ميتشل وهارفي** أنّ عملية التفاعل والتبادل عند فتحها وإغلاقها كانت تفتقر لأسلوب التهذيب الحضري فرغم رفض النساء التجاوب، استمر الرجال متابعة الحديث معهن من طرف واحد , فأطلق **دونبير** و**ميتشل** على هذه الحالة مصطلح (العبتان التفاعلي) والتي تعني وتمثل محاولة لتعزيز الهوية والتعبير عن حالة الشك إزاء الأطراف المقابلة، ولهذا نلاحظ أننا نكون مرتاحين عندما يلتزم الآخرون بالقواعد الخفية المضمرة المستقرة بالتواصل الكلامي العابر أو نصاب بالارتباك أو الإحساس بالخطر وعدم الأمان إذا ما خرجت الأطراف المقابلة عن هذه الأصول. ولهذا في أغلب محادثتنا اليومية نحرص على اكتشاف المؤشرات التي تبدو عن الآخرين للدلالة على مقاصده من عملية التفاعل كالإيماءات أو لحظات التآني والتوقف أو مراقبة النظرات ويفضي هذا الوعي المشترك المتبادل إلى تيسير عملية التفاعل أو فتحها أو إغلاقها ويظهر كذلك إضفاء صفة التعاون أو عدمه على الطرفين المتفاعلين. كما اهتم **كارفينكل** و**سكوريل** بتحليل الأحاديث التي أصبحت من أهم أوجه منهجية الجماعة في تحليل الفعل وتشكيل معرفة الجماعة فيرى **سكوريل** أنّ الموقف الاجتماعي الذي يحدث فيه

الاتصال يزودنا ببناء لغوي خاص، حيث أن الحديث في الحياة اليومية لا يتم حسب قواعد اللغة لكن الموقف الاجتماعي بما تم الاتفاق عليه في الجماعة يسد الثغرات الناتجة عن غياب قواعد اللغة فالطفل في بداية حياته يكتسب اللغة في إطار الجماعة وبنفس الوقت يكتسب حس أو إدراك ألبنى الاجتماعية إذ يتعلم اللغة المناسبة للموقف أي أنه لا يكتسب اللغة كبناء مجرد وإنما يكتسبها في سياقها الاجتماعي وهكذا نرى أن لغة الطفل تتطور مع تطور إدراكه للبناءات والنظم الاجتماعية فتصبح وسيطاً مؤثراً في الأنشطة التفاعلية في الحياة العملية أي أنها تصبح وسيلة في تشكيل الواقع وحقيقته.

وضمن اهتمامات منهجية الجماعة في استخدام لغة الحديث كأساس في تحليل الفعل امبريقيا طور العالمان ساكس، شيجلوف منهجية تركز على الإجراءات التي يستخدمها المتفاعل ونفي تصرفاتهم في المواقف الاجتماعية فوجدا انه يمكن افتراض أن مضمون البيانات والمادة التي تناولاها تعبر عن الانتظام بنظر المشاركين الذين أنتجوها وليس بنظر الباحثين فقط , وعلى هذا الأساس رأى كارفينكل أن هناك نوعين من التعابير هما تعابير دالة وتعابير موضوعية نمطية فالأولى تشير إلى موضوعات وأشياء وأشخاص في الحالة الفردية ويحدد معناها ضمن السياق الذي جاءت فيه ، أما الثانية التعبيرات الموضوعية النمطية فإنه ادل على فئات ومجموعات نمطية ولهذا يمكن استخدامها في تصنيف الواقع والتوصل إلى تعميمات لكن الذي لوحظ على كارفينكل انه استخدم هذه التعبيرات للاستدلال على معاني للنشاطات الاجتماعية دون النظر إلى الواقع القائم كموضوع له وجود مستقل فاعتبره حقيقة عقلية تعبر عنها المعاني التي يحملها الناس وبذلك اعتبر أن الباحث الذي يقوم بدراسة الواقع الاجتماعي في الحياة اليومية يجب أن يبنى دراسته على المعاني التي تتضمنها الأحاديث والأفعال بقصد التوصل إلى اكتشاف معرفة الجماعة والحس العام وطرق تشكيلها .

4- أفكار النظرية الاثنوميتودولوجية: (فايل، دوران، 2012، ص261)

إن من أهم الأسئلة التي تطرحها النظرية والتي أصبحت منطلقاً لتوجهها تقول- :

كيف يشكل الناس وقيمون حقيقة الواقع الاجتماعي؟

كيف يتشكل الحس العام والمعرفة الجماعية وكيف تتبدل؟

كيف ترتبط هذه المعرفة الجماعية المشتركة بلحمة الجماعة والنظام الاجتماعي؟

تعتبر هذه الأسئلة تم التركيز على الحياة اليومية العادية للجماعة، وبالتركيز كيف تصبح المعرفة الشعبية الجماعية والحس العام أساسا لكل الأسئلة السابقة، وقد أخذت الكثير من الأفكار من الظاهرية حتى أنها تعد مدخلا منهجيا لها، وهي تلتقي معا بما تضمنته عن معرفة الجماعة وتشكلها أو ما يعرف بمخزون الجماعة، كما تعد نقطة التقاء التفاعلية الرمزية والظاهرية، إلا أنها تتمحور حول ما يلي :

1- ضرورة وجود نظام اجتماعي، هذا النظام يقوم على مجموعة من المعايير والقيم.

2- الأفراد في المجتمع هم عناصر مشاركة في صنع الحياة الاجتماعية اليومية.

3- النظام الأخلاقي يمثل الأساس التفسيري للحقيقة الاجتماعية.

4- ضرورة توجيه الأفراد لسلوكياتهم نحو متطلبات النظام الأخلاقي.

5- التفسير العقلاني مرتبط بمدى فهم السلوك الاجتماعي.

6- يتميز التنظيم الاجتماعي والأخلاقي في المجتمع بالتغيير.

7- تعتبر العملية التنظيمية أساس وجوهر الحقيقة الاجتماعية.

5- المناهج المستخدمة في الدراسة الاثنوميتودولوجية

لتوضيح المناهج المستخدمة في الدراسات الاثنوميتودولوجيا، نجد أن رائدي هذا الاتجاه قد قاموا بإجراء عدة دراسات امبريقية للكشف عن مناهج مختلفة، والتي يمكن أن يستعين بها الباحث الاثنوميتودولوجي لكي ينفذ إلى مواقف الحياة اليومية ويتعرف على أفكار وقواعد سلوك المبحوث، وعلى الرغم من تعدد هذه دراسات فإنه يمكن تصنيف هذه الدراسات إلى ثلاثة نماذج:

• يتمثل النموذج الأول في تلك الدراسات التي تهدف إلى اكتساب المعرفة الاجتماعية والثقافة.

• يتمثل النموذج الثاني في الدراسات التي تحاول التعرف على القواعد العامة التي تقوم الناس بصياغتها بهدف فهم أنماط السلوك ويفسر كيفية نشأة النظام.

• يتمثل النموذج الثالث في تلك الدراسات الهامة التي تحاول التعرف على الطرق التي يتبعها الناس للحكم على الأنشطة وإقرارهم بأنها مقبولة ومفهومة.

لقد انتقد أصحاب المنظور الاثنوميتودولوجي طرق وأدوات البحث المستخدمة في علم الاجتماع مثل المسح الاجتماعي و المقابلات، كما رفضوا استخدام صحيفة الاستبيان كوسيلة لجمع

البيانات الكمية التي تتطلبها الدراسات الاثنوميتودولوجية، وذلك على أساس أن مثل هذه الأساليب الكمية تفصل بين الباحث وموضوع دراسته، وتتضمن معرفة سابقة بالواقع يفرضها الباحث على أداة بحثه، بالإضافة إلى موقف التفاعل بين الباحث والمبحوث الذي يؤثر على حجم ونوعية البيانات التي يتم الحصول عليها، ولكي يتعرف الباحث الاثنوميتودولوجي على أفكار وقواعد سلوك المبحوث دون أي تدخل من طرف الباحث، يرى أصحاب هذا المنظور أنه يمكن استخدام طريقة الملاحظة بالمشاركة بالإضافة إلى مناهج أخرى مثل المنهج الشبه تجريبي الذي يطلق عليه التجربة الاثنوميتودولوجية والذي صاغها **جارفنكل** في كتاباته الأولى، والمنهج الآخر الذي أطلق عليه المنهج التوثيقي، ولكي يمكن فهم أي موقف في الحيات اليومية من وجهة نظر أعضاء المجتمع المشاركين في هذا الموقف، يمكن تطبيق منهج شبه تجريبي على الجماعة التي يحاول الباحث دراستها ويمكن للباحث تطبيق المنهج أو التجربة الاثنوميتودولوجية عن طريق محاولة كسر القواعد التي تحكم سلوك الجماعة بطريقة تختلف عن القواعد المتفق عليها، مع تسجيل رد فعل الجماعة إتجاه الباحث، ومن ثم يمكن للباحث اكتشاف القواعد التي لا يعرفها الباحث كما يعرفها الأعضاء المشاركون في عملية التفاعل، وعلى سبيل المثال يحاول الباحث تعمد التصرف كما لو كان غريباً مع أعضاء أسرته.

6- الانتقادات التي وجهها للآثنوميتودولوجيا

لا يختلف مفكران في أن الاثنوميتودولوجيا قامت بمجموعة من المساهمات في مجال النظرية السوسيولوجية، وفي التحقيق التجريبي للحياة اليومية، إلا أن معظم النظريات التي تفرعت عنها خاصة النظرية التواصلية التحليلية لها منهج جد مقيد، هذه الأخيرة التي ساهمت في بروز السوسيولوجية السلوكية والتجريبية، والتي لا تعكس الأصول التأويلية التي أنعشت الاثنوميتودولوجيا، هذه الأخيرة التي تتسم بالتشتت والتيه بعيدة كل البعد عن التجانس، ولتوضيح هذه النقطة لابد من الإشارة لأهم مرتكزات هذا المنهج:

1- معظم الدراسات الاثنوميتودولوجية تركز حول تمارين الملاحظة، وهذه التمارين هي محاولة فهم أشغال الدارسين: واحد من هذه التمارين هي الملاحظة بالمشاركة في ملاحظة عائلة كل تلميذ إذ يقوم الدارسون بلعب دور الاثنوجرافي (الأثنوجرافيا، البحث في عراقة الشعوب) على عائلاتهم، وفي هذا الإطار فقد حصل **جارفنكل** على 59 وصفا اثنوجرافي من هؤلاء الدارسين

الذين أخذوا دور الغريب وسط عائلاتهم، فالدارسون تركوا مسافة اصطناعية في دراستهم وألغوا كل الأحاسيس.

2- الأثنوميتولوجيا تركز على حقيقة أن الأشخاص كأفراد في المجتمع يستعملون ويعتمدون على جسد من المعرفة التطبيقية والتي يعتقدون أنها مشتركة على الأقل في جزؤها.

3- الأثنوميتولوجيا لها اهتمام بالدراسة الإجرائية للحس المشترك كما استعملت بشكل علمي والتي وجهت بمشكل منهجي خاص إذ أن ممارسات الحس المشترك هي موضوع دراستها، ولكن هذه الممارسات تستعمل كمرجع لأي دراسة يمكن أن يقوم بها أي شخص، إنه بدون استعمال الحس المشترك فإن هدف الدراسة سيكون بكل بساطة بدون جدوى وغير صالح، لأن الأثنوميتولوجيا شكلت بتطبيق نظريات الحس المشترك كالمنهج التوثيقي والتأويل مثلا. إذ نف إن مشكل الأثنوميتولوجيا هي كيف يمكن أن تخسر الممارسات الحسية والمعرفية المتعلقة بالحس المشترك مقامها كمصدر غير مدروس ليصبحوا أي الافراد موضوع للدراسة، أي كيف يمكن أن يتحولوا من مصدر غير مدروس إلى موضوع للدراسة.

7- هارولد جار فنكل والإسقاطات التربوية

كشف جار فنكل أن مجال اهتمام الأثنوميتولوجيا هي الحياة اليومية ومواقفها والتحكم فيها مع تبريرها، "فتعريف موقف معين في الحياة اليومية التي يشترك فيها كل الأفراد هو تعريف يستمر في الوجود مادام الأفراد يعيشون في نفس الجماعة، وبنفس الطريقة فإن المعنى الذي يضي في الأفراد على موضوع معين سوف يستمر أيضا في مناسبات ومواقف مختلفة، وتتشابه المعاني والتعريفات من خلال الاشتراك في الرموز والتعبيرات... والتفاعل في المجتمع قائم على مجموعة من القواعد والطقوس يسلم الأفراد العاديون دون وعي تقريبا، يكونون لأنفسهم كجماعة- منهجا خاصا في الحياة "فالدارس أو الباحث للظواهر الاجتماعية والإشكالات التربوية لابد أن يعرف ويتحكم في مواقف الحياة العادية اليومية ، وأن يعي المناهج والقواعد التي تحكم التفاعلات الاجتماعية الموجودة في الحياة الاجتماعية .

وقد استخدم جار فنكل العديد من المفاهيم في هذه المدرسة مثل مفهومي الفعل المنعكس الذي يشير إلى أنماط التفاعل المنعكسة التي تحدث بين أعضاء المجتمع والذي تعبر عن رؤية معينة للواقع الاجتماعي ، ومفهوم البيئة المرتبطة بالمعنى الذي يشير إلى أن التفاعل المتبادل بين أعضاء المجتمع يتضمن معان تدركها عقول الأفراد، هذه المعاني ترتبط بمواقف معينة أو بيئة

اجتماعية معينة . وعليه فإن الإثنوميثودولوجيين حاولوا " التعرف على كيفية قيام أعضاء المجتمع باستخدام الإثارات والكلمات والعبارات في تشكيل العالم الاجتماعي الذي يعيشون فيه... والمناهج والطرق التي يستخدمها المجتمع لتشكيل رؤية معينة للحقيقة الاجتماعي... أي الكشف عن الطرائق أو أساليب الناس أو الشعب في التعبير عن أنشطتهم وتوصيلها للآخرين، والكشف عن الإجراءات التي يستخدمها أعضاء المجتمع في تشكيل وتفسير وإعطاء المعاني لعالمهم الاجتماعي " كما انتقد جار فنكل ومؤيدوه المناهج التي تدرس في علم الاجتماع واعتبروها غير مناسبة لفهم الواقع الاجتماعي والتربوي، لذا دعوا إلى تبني مناهج وطرق أخرى كفيلة بتفسير الحياة الاجتماعية مثل الملاحظة بالمشاركة، المنهج الشبه التجريبي، المنهج التوثيقي، كما أجرى **جار فنكل** العديد من الدراسات باستخدام مثلا المنهج شبه التجريبي أو التجربة الإثنوميثودولوجية كدراسته التي فرض فيها على طلبته أن يزعموا بالعيش بعض الوقت كضيوف في أسرهم لاكتشاف المعايير السلوكية التي تحكم المواقف الاجتماعية داخل أسرهم، ودراسات بعض المشاريع الاقتصادية وعالم الأعمال التي تم تمويلها من طرف مديري هذه المشاريع لمعرفة رأي الجمهور العام، كل هذا بإتباع المناهج الإثنوميثودولوجية السالفة الذكر .

وفي نفس السياق يمكن دراسة الواقع التربوي في المؤسسات التنشئة التربوية من خلال إتباع الأفكار والمناهج الإثنوميثودولوجية كالملاحظة بالمشاركة والمنهج التوثيقي، فالعملية التفاعلية داخل الموقف الصفي مثلا يمكن فهمها وتفسير المعاني والدلالات التي تتضمنها عملية التفاعل بين الأستاذ وطلبه عن طريق توثيق وملاحظة وتسجيل كل التصرفات والسلوكيات والممارسات التي يقوم ا الطلبة من طرف الأستاذ أثناء العملية التدريسية في الحجرة الصفية والتي تمنحه القدرة والمهارة على التحكم في الفعاليات الصفية وفهم معاني السلوكيات والإشارات والحركات التي يقوم ا الطلبة ومن ثمة فهم المواقف الصفية والقواعد الصفية للوصول إلى حقائق تربوية، فالحكم على تلميذ منضبط فق عليها مسبقا من طرف الفاعلين في الملعب الصفي تـ ومجتهد أو العكس مرتبط بوجود قواعد وإجراءات عامة ا خاصة والفاعلين في المؤسسة التعليمية عامة بعد الشعور بهذه الحقائق، كما أن التخفيف والتقليل من المشكلات التربوية الموجودة في النظام التعليمي كالعنف المدرسي والتسرب المدرسي والرسوب المدرسي، وضعف مستوى التحصيل العلمي للتلاميذ... إلخ متعلق بوجود مشرفين تربويين كالمدير والمعلم ومستشار التوجيه المدرسي والإرشاد النفسي قادرين على فهم السلوكيات والممارسات السوية والغير سوية للتلاميذ في حيا تهم المدرسية اليومية، وفهم

معنى التفاعلات المتبادلة في المواقف التعليمية، وفهم أيضا المفاهيم المتداولة بين التلاميذ وذلك عن طريق المنهج القائم على الملاحظة والتوثيق حيث يتم إعداد ملفات تربوية تسجل فيها كل الأنماط والقواعد السلوكية التي يقوم التلاميذ في الحجرة الصفية مع زملائهم ومع أساتذتهم، كل هذا من أجل فهم المعاني والرموز والحقائق التي تم صياغتها من طرف التلاميذ، وبالتالي فإن هذا الفهم هو الذي يمنح المشرفين كيفية التصرف والتعامل مع هذه المشكلات التربوية وعلاجها والوقاية منها والحد منها بالقدر الذي يضمن تحقيق تنمية في قدرات ومستويات الطلبة وتحقيق تكيف وتوافق بين جميع الفاعلين في المجتمع المدرسي. كما أن مطالبة الأسرة المسلمة بإتباع أساليب تربوية وتنشئية مخالفة لتعاليم الدين الإسلامي من شأنه أن يصدر عنهم ردود فعل معينة، ونتيجة لردود فعلهم يمكن فهم معاني لسلوكياتهم ورموزهم والتعرف على القواعد السلوكية المتفق عليها في الأسرة المسلمة التي تحكم تصرفاتهم وتفاعلاتهم والمعايير السلوكية الشائعة عندهم، كل ذلك بإتباع المنهج شبه التجريبي الإثنوميثودولوجي. والباحث المتبني لتقنيات المنظور الإثنوميثودولوجي لابد أن يتبع المناهج والطرق والإستراتيجيات التي تعينه على فهم معاني الأنماط السلوكية العقلانية التي يخلقها الأفراد لتشكل وتصور حيا. تهتم الاجتماعية، فمعظم الطلبة الجامعيين مثلا اليوم يرون أن الجامعة كمؤسسة تعليمية ما هي إلا مكان لتوزيع الشهادات وأن النجاح خاصة في الكثير من التخصصات هو تحصيل حاصل وقضية وقت لا غير، لذا فالباحث الإثنوميثودولوجي نجده يدرس الطرق التي استخدمها الطلبة في تشكيل هذه الفكرة المؤلمة على الواقع الجامعي مع محاولة المحافظة عليه ومحااربة أي تغيير لذلك عن طريق الممارسات الموجودة في الحرم الجامعي. وأخيرا فإن هذه النظرية ومسلما تهتم إلى دراسة الواقع الاجتماعي للوصول إلى الحقائق الاجتماعية، رغم أن الكثير من النداءات تعتبرها وجهة نظر ورؤى معينة أكثر منها نظرية

المحاضرة الثامنة : المقاربة الظاهرية (الفينومينولوجية في علم اجتماع التربية)

عناصر المحاضرة	1- مفهوم الفينومينولوجيا (الظاهرية) 2- الجذور الفكرية للفينومينولوجيا 3- المبادئ الأساسية للفينومينولوجيا 4- تطبيقات المنهج الفينومينولوجي 5- نقد وتقييم الاتجاه الفينومينولوجي 6- اسهامات أهم رواد الاتجاه الفينومينولوجي في الحقل التربوي
اهداف المحاضرة	في نهاية هذه المحاضرة سيتوصل الطالب الي التعرف على الاتجاه الظاهرية واهم روادها واسهاماتهم في الحقل السوسيولوجي

تمهيد

الفينومينولوجيا هي أحد أبرز المناهج الفلسفية التي حفرت لنفسها مكانا راسخا في تاريخ الفلسفة الغربية، باعتباره طريقة فكرية تهدف إلى الوصول إلى جوهر الظواهر كما هي مدركة في الوعي البشري، بعيدا عن أي تأويلات مسبقة أو مفاهيم جاهزة، يضع هذا المنهج الفرد في قلب عملية المعرفة حيث يعتبر الوعي ليس مجرد أداة لتفسير الواقع، بل هو النافذة الوحيدة التي يستطيع من خلالها الفرد الولوج إلى كنه الأشياء وفهم حقيقة وجودها.

1- مفهوم الفينومينولوجيا (الظاهرية)

الفينومينولوجيا هي أحد أبرز التوجهات الاجتماعية استخلصت من الفلسفة الظاهرية التي تركز بشكل معمق على تحليل ووصف الحياة اليومية بما يشاهد ويلمس منها، أي تعني بالظاهرة المرئية والمحسوسة والملموسة المقترنة بأحداث الحياة البشرية، الملتصقة بالمشاعر والأحاسيس، ترى الظاهرية أن المعرفة اليومية تعمل على الخلق والإبداع المنتج من قبل الأفراد الذين يمتلكون تراكم معرفي يستلهمون من معارف المؤسسات ورموزها.

تعرف موسوعة علم الاجتماع الظاهرية بأنها " منهج فلسفي يبدأ من خبرة الفرد ووعيه، وتحاول تجنب الافتراضات السابقة والتحيزات والعقائد الفلسفية الدوغماتية، فالظاهرية تختبر الظواهر كما تدرك في فوريثها من قبل الفاعل الاجتماعي (الهوراني ، 2012، ص421)، إن الظاهرية تطلب

منا ألا نأخذ الأفكار العامة ومفاهيمها التي تعلمناها على أنها أمور معطاة أو مسلم بها وبدلاً من ذلك علينا أن نتساءل حولها أو نتساءل حول الطريقة التي تنظر بها إلى العالم وطريقة وجودنا فيه. أن أكثر ما يميز الفينومينولوجيا، هو إصرارها على دراسة الواقع كما يظهر للوعي في لحظة الإدراك المباشر، بعيداً عن التأثيرات الخارجية أو الافتراضات الميتافيزيقية، إنهادعوة للعودة إلى الأشياء نفسها كما عبر عنها الفيلسوف إدموند هوسرل أي العودة إلى التجربة الحية إلى الظواهر التي تعيشها في كل لحظة من حياتنا وبدون تشويش أو تزيف، وبذلك يصبح الوعي هو الأساس الذي يتشكل منه معرفتنا بالعالم، ويصبح البحث الفينومينولوجي ليس بحثاً عن الحقيقة الموضوعية بمعناها التقليدي، بل عن الحقيقة المعيشية تلك التي تظهر من خلال التجربة الإنسانية الصافية والنقية

2- الجذور الفكرية للفينومينولوجيا

- تأثرت الفينومينولوجيا بالفلسفة المثالية الألمانية خصوصاً أفكار إيمانويل كانط الذي كان يرى أن المعرفة لا يمكن أن تكون مجرد انعكاس للواقع الخارجي، بل هي نتيجة تفاعل بين العالم الخارجي والقدرات المعرفية للعقل البشري، مع ذلك فإن الظاهرية كانت ردة فعل على هذه الفكرة في محاولتها دراسة الواقع كما يظهر للوعي بدون حاجة إلى التقييد بأي نظرية مسبقة.

- يعتبر الفيلسوف إدموند هوسرل (1859-1938) مؤسس الاتجاه أو المنهج الفينومينولوجيا، حيث دعي إلى العودة إلى الأشياء نفسها أي العودة إلى التجربة الحية المباشرة والظواهر كما تبدو لنا في عينا اليومي، كما سعى إلى تجاوز ما اسماه الأنماط المسبقة التي تعوق الفهم الحقيقي للعالم، لذا فالمنهج الظاهراتي لا يسعى إلى تفسير الأشياء بقدر ما يسعى إلى وصفها كما تدرك.

- انتقد ألفرد شوتز علم الاجتماع الصوري عند ماكس فيبر خاصة في تصويره لعلم الاجتماع باعتباره العلم الذي يتوصل إلى الفهم التأسيلي للفعل الاجتماعي من أجل التوصل إلى تفسير سببي لمجره وأثاره، واعتبار الفعل يكتسب صفة اجتماعية من خلال المعنى الذاتي الذي يضيفه عليه الأفراد، حيث يعتقد شوتز بأن فيبر لم يكن عميق لكي يلمس المعرفة الاجتماعية (زايد، 1989، ص391)، وهذا يعني أن الظاهرية لم تستند من أعمال فيبر، فقد كانت الكثير من القضايا التي طرحها فيبر موضع اهتمام هذه النظرية، خاصة في الاهتمام بالمعنى الذاتي لأفعال الأفراد وصياغة الأنماط المثالية. (البياتي، 2002، ص204)

-يمثل الفهم الفينومينولوجي للواقع محاولة نقدية للاتجاهات السوسولوجية التي تميل إلى التقريب بين العالم الاجتماعي الثقافي من ناحية، والعالم الطبيعي من ناحية أخرى، كما يحاول هذا الاتجاه إعادة النظر في العديد من المسلمات النظرية والمنهجية الشائعة في الفكر السوسولوجي الحديث، وتأكيد الفارق بين الظواهر الاجتماعية والظواهر الطبيعية. (الحسيني، 1985، ص245)

-أن التوجه الفينومينولوجيا يرفض مبدأ اعتبار العلوم الطبيعية نموذجا يمكن أن تحاكيه العلوم الاجتماعية، ذلك أن علم الاجتماع الوضعي يقبل مسلمات العلوم الطبيعية دون إخضاعها لنقد شامل والوقوف على مدى ملائمتها لفهم الواقع الاجتماعي (الحسيني، 1985، ص246)، فالظواهر الطبيعية حسب الطرح الفينومينولوجي تختلف اختلافا جوهريا عن الظواهر الاجتماعية، فالأولى لا تعبر عن بناء خاص من المعاني، وبالتالي تتيح للباحث حرية الملاحظة وتفسير الظواهر التي يدرسها تفسيراً خارجياً مستقلاً، أما في العلوم الاجتماعية فإن الباحث يدرس عالماً بتشكلاً من خلال المعاني التي تمثل بالنسبة له وسيلة لفهم الواقع الاجتماعي، وفضلاً عن ذلك فإن الظواهر الاجتماعية ذاتها تكتسب معاني خاصة بالنسبة للأفراد الذين يعيشون في إطار اجتماعي ثقافي معين، ومن هنا يتضح دور عالم الاجتماع في فهم الواقع الاجتماعي، ودور العالم الطبيعي في دراسة الواقع المادي، فالأخير يدرس ظواهر لا تتخذ بناء معرفياً مسبقاً.

3- المبادئ الأساسية للفينومينولوجيا:

- 1-تعليق الحكم (التحقق): قام هوسرل بتطوير فكرة التعليق أو الإبقاء على الأحكام المسبقة حول وجود الأشياء في العالم الخارجي بمعنى آخر يشير إلى ضرورة تعليق اعتقاداتنا المسبقة حول وجود الأشياء وإدراكها بشكل نقي، وذلك عن طريق التركيز على كيفية ظهور هذه الأشياء في وعي الفرد بعيداً عن أي فرضيات مسبقة.
- 2-الفعل الفينومينولوجي: يركز المنهج الفينومينولوجي على تحليل الفعل الذي يحدث في وعي الفرد عند إدراكه للظواهر، هذا الفعل يتمثل في كيفية تفاعل الوعي مع الأشياء مثل النظر إليها أو شعور الشخص بها، وكيفية بناء هذا الوعي للواقع النية أو الغاية جزء أساسي من عملية الوعي الفينومينولوجي.
- 3-الظاهرة: يشير مصطلح الظاهرة في الفينومينولوجيا إلى الشيء كما يظهر للوعي، فهي لا تهتم فقط بالوجود الموضوعي للأشياء بل تركز على كيفية ظهورها وتجسيدها في التجربة الحية للمراقب.

4- التجربة الذاتية (الوعي المباشر): في الفينومينولوجيا تكون التجربة الذاتية هي مركز الاهتمام، تركز على الخبرات الشخصية المباشرة والوعي الذي يتبعها هذا يشمل كيف يشعر الفرد بشيء معين أو كيف يدركها وكيف يختبره في لحظة معينة.

4- تطبيقات المنهج الفينومينولوجي

1- الفينومينولوجيا في الفلسفة: تطور الفينومينولوجيا بشكل كبير من خلال مفكرين مثل مارتن هايدغر الذي ادخل مفهوم الوجود في التحليل الفينومينولوجي، كما قام جون سارتر باستخدام الفينومينولوجيا كأساس لفلسفته الوجودية التي تركز على حرية الإدارة والمعنى الذاتي للوجود.

2- الفينومينولوجيا في علم النفس: تأثر العديد من علماء النفس في القرن العشرين

بالفينومينولوجيا وخاصة في مجال دراسة الوعي والتجربة البشرية، على سبيل المثال قام كارل روجرز بتطبيق الأسس الفينومينولوجية في العلاج النفسي حيث ركز علنا الاستماع الفعال والتفهم العميق للتجربة الشخصية للعميل.

3- الفينومينولوجيا في علم الاجتماع: في العلوم الاجتماعية يساهم المنهج الظاهراتي على دراسة كيفية بناء الأفراد والمجموعات لواقعهم من خلال التفاعل الاجتماعي، وهو أداة قوية لفهم كيفية إدراك الأفراد للأحداث الاجتماعية وتفسيرها من خلال سياقهم الثقافي والمجتمعي.

4- الفينومينولوجيا في الأدب: تطرقت بعض الدراسات الأدبية إلى استخدام الفينومينولوجيا لفهم كيفية بناء النصوص الأدبية للمعنى، وكذلك كيفية إدراك القارئ للنصوص وتفسيرها عبر عملية الوعي الفينومينولوجي.

5- نقد وتقييم الاتجاه الفينومينولوجي

على الرغم من أن المنهج الفينومينولوجي قد أثبت فعاليته في العديد من المجالات لا أنه تعرض لبعض الانتقادات والتي من أبرزها:

- إن هذا الاتجاه ركز على دراسة المعاني والخبرات المشتركة بين الأفراد في المجتمع، بوصفها أساسا للحياة الاجتماعية، إلا أنه أهمل الاختلافات والصراعات الواقعية داخل المجتمع ، ويتعارض ذلك تماما مع التحليل العلمي الواقعي للمجتمع الذي يبين بالأدلة القاطعة أن العالم تمزقه الصراعات على كافة المستويات ، إن القدر المتاح من المعاني والخبرات المشتركة بين الأفراد في المجتمع الواحد أو في مجتمعات العالم أقل بكثير من الاختلافات والصراعات، فهناك صراعات عديدة بين الشباب والشيوخ ، النساء والرجال ، الأغنياء والفقراء ، البلدان النامية والبلدان المتقدمة

... الخ، بمعنى أن المسلمة الأساسية التي تنص عليها التحليلات الفينومينولوجية عن طبيعة الواقع الاجتماعي (الخبرات الفكرية المشتركة) لا تدعمها الأدلة الأمبريقية، بل هناك أدلة تنفيها.

-تجاهل أصحاب هذا الاتجاه أيضا مسألة الصراع الطبقي العنيف في مجتمعاتهم، ورفضوا حتى أن يثيروا إليه أو يفسروه، على الرغم من أنه يفرض نفسه على المجتمع، كما أنهم تجاهلوا الواقع الاجتماعي الاقتصادي للمجتمع، ودرسوا الخبرة اليومية وأسلوب التفكير كما لو كانا منفصلين عن الواقع ولا يتأثرون به، ويرى العديد من النقاد بأن الاتجاه الفينومينولوجي اتجاها محافظا من الناحية الأيديولوجية (احمد، 1977، ص251)

-النزعة الذاتية حيث يرى البعض أن الفينومينولوجيا قد تكون محكومة بالمبالغة في التركيز على الذاتية والتجربة الشخصية، مما قد يقلل من قدرتها على الوصول إلى الحقيقة الموضوعية.
-التعقيد والتجريد، فالمنهج الفينومينولوجي يمكن أن يصبح معقدا للغاية في محاولة فهم التفاعل بين الوعي والواقع، مما يجعله صعب التطبيق في بعض الأحيان.

6- اسهامات أهم رواد الاتجاه الفينومينولوجي في الحقل التربوي

1-ادموند هوسرل Edmund Husserl

يعتبر "هوسرل" من الفلاسفة الألمان الذين أصلوا لفلسفة الظواهر بغية دراسة العالم الاجتماعي وفهم الجوهر الحقيقي لعالم الحياة كما سماها هوسرل، وقد عرف الفينومينولوجيا على أنه "المنهج الدارس لظهور الماهيات في ¹الوعي، ويقصد بالماهيات الحقائق الموضوعية للأشياء طالما كانت متميزة عن طابعها الحسي " وقد انتقد هوسرل علم الاجتماع بسبب ميله إلى محاكاة العلوم الطبيعية ومناهجها عند دراستها للواقع الاجتماعي، ورأى أن فهم وتحليل الظواهر الاجتماعية مرتبط باستخدام الفهم الفينومينولوجي القادر على وصف وتفسير الظواهر ورؤيتها من خلال الوعي القصدي والشعور القصدي بالقضايا الحقيقية واليقينية "فإحدى الدعائم التي يقوم عليها المنهج الفينومينولوجي هي التماس القضايا اليقينية في الشعور وأفكاره، أو الذات وخبراته من إدراك ووجدان وتخيل وشعور...ويترتب على ذلك أن يصبح العالم الخارجي غير منفصل عن شعوري وإدراكي كشخص يعيش فيه، وليس للمعرفة أي معنى إن لم تكن مستقاة من تصوراتي وأفكاري وخبراتي مع عالم الظواهر فتفسيرنا وفهمنا لأي ظاهرة حسب "هوسرل" يكون بتجردنا من أي مواقف سابقة وأحكام مسبقة وأي شيء التصق بوعينا للظاهرة لابد من حذفه وعزله،

وبعدها ننطلق في "النظر فيكيفية استبطان وعي الباحث للظواهر محل البحث، لأن المعرفة هي مجمل ماكونه وعي الباحث حول ظاهرة ما في العالم المعيش وبشكل قصدي، فوعينا ينفاد إلى الظاهرة بشكل قصدي يقوده في ذلك تراكم ما استدخله الباحث حول هذه الظاهرة في الوجود على مدار سيرورة حياته "فالفكر الفينومينولوجي يسعى إلى دراسة الظاهرة كما تقدم وتأسس لنفسها، والباحث في ظل هذا الاتجاه لا بد من معرفة الظاهرة وليس معرفة ما أسقط ونظر عن الظاهرة . ويصر "هوسرل" على أن الفينومينولوجيا تتميز بخطوات منهجية تراتبية، فكل خطوة بحثية تمثل مستوى أعمق من سابقتها؛ وهي كالآتي :

الخطوة الأولى: من العالم النظري إلى الموقف الطبيعي: التوقف الأول: لإجراء أي بحث ظاهر اتيحسب هوسرل من ما سماه بالانتقال بالوعي من العالم النظري إلى العالم المعيش، والمقصود بالعالم النظري كل ما استقيناه من آراء وأفكار ونظريات حول الظاهرة المدروسة، فهذا العالم حسبه هو عالم مزيف ومصطنع وهو تمثل عن الظاهرة، ومن ثم وجب كخطوة أولى القيام بعملية توقيف مقصود لسيرورة الوعي أي ما يسميه هوسرل ب (epochè الإبوخية)*، هذا التوقيف يهدف إلى الارتقاء بالوعي من المستوى النظري إلى المستوى الطبيعي واستبعاد المؤثرات النظرية عن وعيه بالظاهرة، وهي ما يعرف أيضا عند هوسرل بالتقليص أو الاختزال أي تقليص درجة تأثير العالم النظري في الفعل العلمي للباحث، ومعالجة وفهم الظاهرة كما هي نفسها دون تدخل لأي شوائب نظرية وغي استقلالية تامة والرجوع إلى أصلها ونشأ ته، كل هذا بطريقة وصفية تقرب الوعي من الظاهرة كما هي على طبيعتها وحقيقتها

الخطوة الثانية: من الموقف الطبيعي إلى الاختزال الفينومينولوجي: وهي خطوة قصدية للصعود من مدارج الوعي النقي التنظيف بتوظيف آلية الاختزال ولكن في مستوى آخر...من خلال هدم وحذف كل ما يعلق من شوائب في الموقف الطبيعي، والقيام باختزال آخر يضع مسافة بين الباحث وموضوع بحثه، وكذا مراقبة الذات في كيفية تعاملها مع موضوعها...ويراقب أيضا قصدية وعيه إلى أين تتجه، و به ذه الطريقة نصل حسب هوسرل إلى ما أسماه بالموقف الفينومينولوجي أو الاختزال الفينومينولوجي

الخطوة الثالثة: من الاختزال الفينومينولوجي إلى انكشاف الجوهر: إن الباحث في هذه الخطوة يريد أن يرتقي مرة أخرى بوعيه القصدي في سلم التعالي إلى مرحلة الاختزال أو التقليص الكلي قصد الوصول إلى إدراك ماهية الظاهرة محل البحث، وكذا التحكم في الوعي بدرجة تسمح

للباحث برؤيتها كما هي وحسب طبيعتها الأولى، وعن طريق هذا الوعي النقوي والاختزالات الممكنة يمكن الوصول إلى جوهر الظاهرة، فالاختزال الكلي ينطلق بالأساس من الحدس ويراقب ويحلل بعمق حركية الظاهرة في كل أشكالها لنصل في الأخير إلى التمييز بين الثابت والمتغير، فالثابت هو الجوهر، أما دون ذلك فهو من الشوائب أي عالق بها

الخطوة الرابعة: الاختزال أو التقليل المتعالي: عند كشف جوهر الظاهرة يتم تجاوز كل الجزئيات والشوائب والانتقال بالوعي عن طريق ما سماه هوسرل بالاختزال المتعالي، والهدف منه هو الوصول إلى الوعي المتعالي (الوعي الخالص)، الذي يعتبر أعلى مراحل التجريد في الفينومينولوجيا، فهو الرجوع بالوعي إلى مرحلة سابقة لظهور الأنا، حيث يصل الباحث فيه إلى مستوى يصبح فيه متفرجا وغير مشارك في الظاهرة ينظر نظرة مستقلة متعالية ومنسحبة عن كل ما يتعلق بالظاهرة، وهنا نصل إلى مرحلة الذات المتعالية حسب هوسرل دائما

كل هذا يمكن إسقاطه في دراسة الظواهر الاجتماعية التربوية، فظاهرة العنف المدرسي مثلا حسب هذا الاتجاه يمكن تحليلها و وصفها عن طريق تحليل الوعي في حركيته وسيرورته وبعيدا عن أي أحكام مسبقة وأي تصور أو تمثّل في العالم النظري يمكن محاصرته وإخضاعه للمساءلة الدائمة في كل المراحل. بدءا من المرحلة الأولى التي فيها نتخلص من كل ما نرى وأصل حول موضوع العنف المدرسي من نظريات وآراء ودراسات وتوقيفكل ما يتعلق بالمعارف مزيفة ومصطنعة ، وفي المرحلة الثانية نقوم بعملية اختزال ثانية لنقف موقف البعيد كل البعد عن الظاهرة المدروسة، فالقول مثلا بأن العنف المدرسي يعود إلى جماعة الرفاق والتنشئة السرية الغير سوية للتلاميذ دون الإشارة إلى دور المشرفين في العملية التربوية من أساتذة وإداريين ومدير... إلخ في هذه المشكلة هو نوع من التزييف في وعيه من كل تشويه وتزييف، ليقر بدور هؤلاء المشرفين ومن خلال ممارساتهم اليومية داخل المؤسسة التعليمية في إحياء وإرساء سلوكيات عدوانية اتجاه المدرسة واتجاه زملاء وحتى اتجاه نفسه، فالمعاملة التفضيلية داخل الحجرة الصفية مثلا يشعر بعض التلاميذ بإهمال المعلم لهم وتفضيل البعض على حسام، والإحساس بنوع من الاغتراب والإقصاء والعزلة، كلها عوامل تدفعهم إلى خلق سلوكيات عنيفة وغير سوية في الوسط المدرسي. لنصل فيما بعد إلى الخطوة الثالثة والتي فيها نرفع وعينا القصدي إلى مرحلة الاختزال الكلي قصد فهم مخارج وماهية هذه المشكلة التربوية، حيث نقوم بمراقبة ظاهرة العنف المدرسي وحركيتها وتجمع المعارف والمعلومات اللازمة عنها خاصة منها الثابتة والغير متغيرة

والتي ستمنحنا فرص الوصول إلى جوهر المشكلة ووصفها وصفا دقيقا وموضوعيا، فالعنف المدرسي بعد جمع البيانات والقراءة المتأنية والوصف الدقيق فإن جوهره داخل البيئة المدرسية يعود إلى المعاملة الغير عادلة والتفضيلية للأساتذة داخل الحجرة الصفية في التقييم والمعاملة... إلخ، فهنا نجد أن هذه المعاملة هي الثابت وكل ما هو متغير عبارة عن توابع ولواحق لها. وأخيرا نجد الاختزال المتعالي والذي في مثالنا السابق نتجاوز كل الشوائب التي تدرس مشكلة العنف المدرسي، ونقوم بدراسة هذا الموضوع بصفة مستقلة وبالعودة إلى أصله ونشأته لنعطي وصف دقيق وموضوعي ويقيني وعقلاني دف من خلاله فهم تجليات المشكلة وتشخيصها تشخيصا دقيقا. وعليه فإن الفكر الفينومينولوجي عند هوسرل يهدف إلى وصف وتفسير ورؤية أي ظاهرة اجتماعية أو تربوية كانتكما هي موجودة في أصلها وجزو ها

2- ألفريد شوتز Alfred Schutz (1899-1959)

يعد ألفريد شوتز من أبرز العلماء الذين نظروا للظاهرة، فإذا كان هوسرل قد أرسى دعائم الفينومينولوجيا كمدخل فلسفي لدراسة الخبرات الخاصة فإن شوتز قد طرح الإمكانية السوسيلوجية الهائلة التي تنطوي عليها الفينومينولوجيا في دراسة الواقع الاجتماعي، استخدم في توضيحه لعلاقة الفاعل بالفعل مصطلحين هما الاستبطان والوعي، ويرى أن المعنى الذي يحمله الفاعل لفعله يجعل عملية التفهم باستبطان المعنى من العمليات الهامة في التوصل إلى الحقيقة والاستبطان. قدم أيضا نظرية في الوعي والفعل تركز على القيود الثقافية (القيم والمعايير) وعلى فكر الفرد وفعله.

يمثل الواقع عند شوتز نقطة البداية الفينومينولوجية، ويتميز هذا الواقع بالوضوح الذاتي مما يعني أن فهمه لا يتطلب بالضرورة تطوير نظام علمي دقيق، ولكي يعبر شوتز عن معنى الواقع الاجتماعي نجده يستخدم تعبيرات كالعالم المحسوس، علم الحياة اليومية للإشارة إلى مجال اجتماعي يمكن دراسته باستخدام الفهم الفينومينولوجي، حيث يرى شوتز أن الواقع الاجتماعي يتغير ويتعدل من خلال أفعال الأفراد تماما كما تخضع هذه الأفعال بدورها لتأثير الواقع الاجتماعي أي أنه هناك علاقة جدلية تربط الواقع الاجتماعي بالأفعال الاجتماعية.

يتميز شوتز بين مجالات مختلفة للواقع الاجتماعي، يعبر كل منها عن نمط مستقل من الوجود والحدود الواضحة للمعاني، ومن أمثلة هذه المجالات مجال الحياة اليومية، مجال الأحلام، مجال العلم، مجال الخبرة الدينية... إلخ وفي كل هذه المجالات نجد إطار محدد ومحدودا من الخبرات

الحياتية ، بعبارة أخرى فإن مجالات المعاني لا تتطابق ولا يمكن استبدال بعضها ببعض الآخر ، وإذا ما حدث ذلك تفككت المعاني وفقدت وحدتها وتماسكها، ويعبر شوتز عن ذلك قائلا : إن مجال الأحلام والفن والدين والتفكير العلمي هي مجالات مستقلة عن بعضها البعض بحيث يصعب استبدالها أو تحويلها .(الحسيني ،1985، ص252)

إن الفلسفة الظاهرية لها تاريخ طويل إلا أن محاولة تطوير شكل سوسولوجي للظاهرية يرجع إلى الفريد شوتز خاصة عند نشر كتابه " ظاهرية العالم الاجتماعي في ألمانيا عام 1932، ولم يترجم هذا الكتاب إلى اللغة الإنجليزية الا سنة 1967، وبعدها أصبح له تأثير ملموس على نظرية علم الاجتماع الأمريكي بعد حضيه بمنصب في المدرسة الجديدة للبحث الاجتماعي في نيويورك والتي استطاع من خلالها أن يؤثر في تطور علم الاجتماع الظاهري في الولايات المتحدة الأمريكية.

ويؤكد شوتز بأن الناس يتوصلون إلى معنى أي في عالمهم البيئذاتي من خلال التوجه إليه كمعنى، وليس كموضوع مادي، وفي ضوء ما نعرفه من خلال الحس البديهي الذي تشكل لدينا مسبقا حول جميع الموضوعات التي نخبرها " أي أنه من خلال عملية التفاعل مع الآخرين يتم إعطاء أحكام مسبقة وتكوين تمثلات عن ذوات الآخرين ونمذجة سلوكا تهم، مع تسجيل وادخار كل ممارسا تهم بالقدر الذي يمنح الفاعلين تكوين معنى ودلالة فكرية ولغوية عن الآخرين في المحيط الاجتماعي الذي يتفاعلون فيه .

فالمدرس داخل عالمه الصفي مثلا يقوم بالتفاعل اللفظي وغير اللفظي بينه وبين تلامذته، هذا التفاعل يكون من خلال ما يجري من أحاديث وتساؤلات ومناقشات وحركات واستخدام للوسائط التعليمية... ن إلخ، حيث يكون المعلم أفكار وأحكام ورموز عن تلامذته عن طريق التخلل الذاتي، وبه تتم عملية نمذجة سلوكيات وأداءات ونقائص ومستويات الطلبة ومعرفتها بالشكل الذي يسهل للمدرس التعامل والتبادل معهم بطريقة سلس وإيجابية أثناء العملية التعليمية وبعدها .

وفي الأسرة يتم التفاعل بين الآباء والأبناء، لتتكون رموز وتمثلات ومعاني تسمح للآباء بمعرفة حقيقية لشخصيات أبنائهم واختزال سلوكياتهم وأنماط تفكيرهم بالقدر الذي يسمح لهم باختيار طرق التعامل معهم وأساليب التنشئة الأسرية المناسبة لهم

وختاماً لكل هذا فإن أصحاب الاتجاه الفينومينولوجي حاولوا فهم الواقع الاجتماعي من خلال مفاهيم فكرية متنوعة تنوع الحقل السوسيولوجي، ورغم المطبات التي وقعوا فيها إلا أنهم قدّموا رؤى تفسير الحياة اليومية

<p>1-التعريف ببير بورديو 2-تعريف الراسمال الثقافي 3-الاشكال الثلاثة لراس المال الثقافي 4-المفاهيم المرتبطة بالنظرية (الهابيتوس ، الحقل ، العنف الرمزي اعادة الانتاج الاجتماعي)</p>	<p>عناصر المحاضرة</p>
<p>في نهاية هذه المحاضرة سيتوصل الطالب الي التعرف على مفهوم الراسمال الثقافي والمفاهيم المرتبطة به</p>	<p>اهداف المحاضرة</p>

1-التعريف ببير بورديو :

ببيربورديو (1930-2002) عالم اجتماع فرنسي وأحد أكبر مفكري العصر الحديث ؛درس الفلسفة في مدرسة المعلمين بباريس ؛ارسل الى الجزائر حيث ادى الخدمة العسكرية فدرس في كلية الاداب في الجزائر؛ واهتم بالدراسات الانثروبولوجية والاجتماعية؛ وبعد عودته الى فرنسا كتب "سوسيولوجيا الجزائر" ثم اصدر " ازمة الزراعة التقليدية في الجزائر " . درس الفلسفة في السوربون ثم اصبح مديرا لمعهد علم الاجتماع الاوربي وانتخب عام 1982 لكرسي علم الاجتماع في " الكوليج دو فرانس"

عرف علم الاجتماع على يديه تطورا علميا واضحا وتجديدا كبيرا في المصطلحات ؛ فقد احدث ثورة في طريقة تحليله للظواهر الاجتماعية والسياسية والثقافية ، لقد تنوعت اهتماماته في العلم والسياسة والفن والتربية والصحافة... الخ ، وانخرط في الصراع الاجتماعي والسياسي؛ وشارك عمليا في حراك مجتمع واكسبه نضاله الفكري والميداني صيتا عالميا ، قام بترجمة الافكار والمواقف التي نادى بها على ارض الواقع، فعمل على نقل ما هو نظري الى ما هو تطبيقي وعملي

2-تعريف الراسمال الثقافي

سادت الفكرة الماركسية التي فسرت الصراع الطبقي على أساس الراسمال الاقتصادي ، الا أن ببير بورديو اعتبر ان هذا التفسير غير تام ؛ فالصراع لا يكون دائما لاسباب اقتصادية ؛ وانما قد يتعدى ذلك الى صراع قد يكون اعمق؛ الا وهو الصراع الثقافي، وهنا نجده يميز بين أنواع من

الرأسمال جعل على رأسها الراسمال الاقتصادي و الراسمال الثقافي باعتبارهما عنصرين هامين في تحريك المجتمعات المعاصرة وادوات للتنافس الاجتماعي .

3- الاشكال الثلاثة لرأس المال الثقافي

1-الراسمال الاقتصادي: موارد مالية؛ثروات وممتلكات ويتدخل بقوة في تشكيل الراسمال الثقافي.

2-الرأسمال الثقافي: وهو عموما المنتج الثقافي من كتب ودراسات ومقالات ثم الدبلومات والشواهد، وكذلك القدرات المعرفية والمهارات... الخ ، ويقسمه بورديو الى قسمين الاول موروث يرثه الفرد خلال نشاته في المجتمع كاللغة على سبيل المثال ، والثاني مكتسب ، ويؤكد بورديو هيمنة الراسمال الثقافي على الانسان مبكرا ، فالاختلافات في الراسمال الثقافي تعد مؤشرا للاختلاف بين الطبقات الراسمال الاجتماعي ، العلاقات الاحتمالية والمعارف والصدقات والقربيات .. الخ، وله دور مهم في تشكيل الراسمال الثقافي .

3-الراسمال اللغوي: ظهر هذا المصطلح في كتابه "اسئلة السوسيولوجيا " يقول بورديو معرفا اياه:"يعني الرأسمال اللغوي التحكم في آليات تشكل الأسعار اللغوية، وكذا القدرة على جعل قوانين تشكل الأسعار تعمل لصالح صاحبه والقدرة على استخلاص فائض القيمة النوعي. إن أي عملية تفاعل، وأي عملية تواصل لغوي، ولو بين شخصين أو بين صديقين أو بين طفل وصديقه، واختصار، إن كل عمليات التواصل اللغوي هي أنواع من الأسواق الصغرى التي تبقى دوما تحت رحمة البنيات الإجمالية.

4-الرأسمال الرمزي: ويشمل الرأسمال الثقافي والاقتصادي واللغوي والسياسي..وهو ايضا يتسم بالاهمية فهو " عبارة عن الشرعية التي ينالها الافراد او الاشياء او الموضوعات نتيجة اعتراف الاخرين بهم ؛ وتتأسس هذه الشرعية على الاعتقاد والثقة، فالثقة التي يحضى بها فاعلون معينون في السياسة او الدين او الحكم، انما هي سلط يمنحها المجتمع للممارس ويخضع لها .وتخضع كل هذه المجالات للتنافس والصراع والسيطرة لمن يملك اغلبها بل ان الطبقات خاصة الحاكمة والمتنفذة تحافظ على امتيازاتها جيل بعد جيل

4-المفاهيم الاساسية عند بورديو

1-مفهوم الهابيتوس:

هو مفهوم موجود في اعمال ارسطو و نوربيرت الياس وماكس فيبر و ادموند هرسل ، لكن ليس بنفس المعنى الذي استعمله بورديو. وقد تعددت ترجمات هذا المصطلح الى العربية وهذه اغلبها:

التطبع ، السم (اي الهيئة او الحال)، السجية ، الخصائص الاجتماعية النفسية ، الخصائص الشخصية، الوسط المعيشي ، الطابع الاجتماعي والثقافي، والسيما... الخ ، يبدو ان مفهوم الهايبتوس غامض ومعقد الا انه يحتل مكانة هامة في المشروع الفكري لبورديو ، ويمكن تعريفه على انه " نسق من الاستعدادات المكتسبة التي تحدد سلوك الفرد ونظرته إلى نفسه وإلى العالم الذي يكتنفه، وهو أشبه ما يكون بطبع الفرد أو بالعقلية التي تسود في الجماعة لتشكل منطق رؤيتها للكون والعالم ، فالاشخاص بتواجدهم في بيئات اجتماعية مختلفة يكتسبون استعدادات مختلفة من خلال مشاركتهم، وذلك بتكييف اعمالهم مع ضرورات الحياة اليومية فكل واحد يطور عادات يواجه بها مشاكله في وسطه.

فالهايبتوس يشير الى الميول والتصورات والادراكات والاستعدادات والملكات التي تجعل من الانسان فاعلا اجتماعيا، قادرا على اعادة البناء، وهي توظف عادة بطريقة لاشعورية . والهايبتوس ليس مجرد تمثل أو إدماج عادية بسيطة، ينبنى على ممارسات تقليدية أساسها التكرار والتنميط والتطبيق الآلي، بل هو إدماج إبداعي يتجاوز المماثلة إلى الاستيعاب ومواجهة وضعيات جديدة فالفرد يتطبع بسمات المجتمع ويعيد انتاج ماكتسبه بطريقة ابداعية وليس بطريقة آلية تجتر السابق؛ انه فن مواجهة وضعيات جديدة باستراتيجيات وخطط يتم تكوينها انطلاقا من مواردها بطريقة واعية او غير واعية.

2- مفهوم الحقل:

يعتبر مفهوم الحقل احد اهم الركائز في النظرية السوسولوجية لعالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو وقد طوره لتجاوز النظرة البنيوية الجافة والنظرة الذاتية الفردية ، محاولا فهم كيف يتفاعل الافراد داخل البنيات الاجتماعية

يعرفه بانه فضاء اجتماعي متميز ومستقل نسبيا يخضع لقوانين خاصة مثل الحقل السياسي الحقل الثقافي الحقل الاكاديمي... الخ ، فالحقل ليس مجرد مكان فيزيائي او تجمع للأفراد بل هو شبكة او منظومة من العلاقات الموضوعية بين مواقع مختلفة (موقع المسيطر وموقع الخاضع ، كما انه يشبه ميدان المعركة او رقعة اللعبة حيث يتنافس الفاعلون الوكلاء الاجتماعيون والمؤسسات بشتى الوسائل للحفاظ على مواقعهم او لتغيير ميزان القوى القائم .

من الخصائص الاساسية للحقل عنده

-الاستقلالية النسبية كل حقل يمتلك منطقاً داخلياً خاصاً به وقوانين لا يمكن اختزالها في قوانين حقل آخر على سبيل المثال ما يعتبر ربحاً أو راسماً في الحقل الفني (كالاعتراف والتميز والابداع) يختلف تماماً عما يعتبر ربحاً في الحقل الاقتصادي (المال والمردود المادي)
-وجود رهان : لكل حقل رهان محدد يتنافس الفاعلون من أجله ، وهذا الرهان هو الذي يعطي للحقل معناه ويجعل المشاركين فيه مستعدين لبذل الجهد والوقت .

-الايمان باللعبة : لكي يستمر الحقل يجب ان يتوفر لدى الفاعلين اعتقاد او ايمان جماعي بان اللعبة تستحق العناء وان الرهانات المطروحة فيه ذات قيمة وتستحق الصراع
-علاقة القوة : يتحدد موقع أي فاعل داخل الحقل بناء على حجم ونوع الراسمال الذي يمتلكه ويؤهله للمنافسة

3- مفهوم العنف الرمزي

يمثل العنف الرمزي اداة تفسيرية جوهرية لكيفية استمرار الهيمنة وتأييد التفاوت الاجتماعي دون الحاجة الي استخدام القوة الفيزيائية او الاكراه المادي
يعرفه بوديو بانه شكل من اشكال العنف غير المرئي والناعم واللامادي ، انه عنف لا يمارس عبر الاكراه الجسدي او التهديد المباشر بل يفرض عبر القنوات الثقافية والرمزية (كالاعلام ، المدرسة ، اللغة) ، فهو عنف غير واع يتميز بان ضحاياه (المسيطر عليهم) لا ينظرون اليه كعنف بل يتقبلونه باعتباره امراً طبيعياً وبجهداً ومشروعاً ، ويرتكز على نوعاً من التواطؤ غير الواعي بين المسيطر والمسيطر عليه حيث يتبنى النضطهدون مقاييس وتصنيفات الفئة المهيمنة للحكم على انفسهم وعلى واقعهم ، وينفذ العنف الرمزي عبر عدة وسائط كالنظام التعليمي (المدرسة) المدرسة في نظر بوديو تمارس عنفاً رمزياً لكونها تعيد انتاج الثقافة السائدة وهي ثقافة الطبقة المسيطرة وتعمل على نشرها وازفاء الشرعية عليها خاصة وان المجتمع الواحد يتسم بغنى الثقافات ومع ذلك فالمدرسة تتعامل بانتقائية مع هذه الثقافات " أن الأهداف الضمنية للمدرسة تخدم التكامل بينها وبين الطبقة المسيطرة مما يجعل أبناء هذه الأخيرة أطفالاً ناجحين دراسياً، أما أبناء الطبقة الدنيا فيكون مصيرهم هو الفشل " [20] ويساعد أبناء الطبقة المهيمنة في النجاح راسمالهم الثقافي .

4- مفهوم إعادة الانتاج:

يبدو ان الحديث عن العنف الرمزي مقرون بالحديث عما يسميه بورديو ب "اعادة الانتاج " خاصة حينما تناول النظام التربوي الفرنسي رفقة جون كلود باسرون في كتابهما " اعادة الانتاج"، وقد اشرنا الى كثير من الافكار حول المدرسة خلال الحديث عن مفهوم العنف الرمزي وملخص الفكرة ان حظوظ الاطفال الذين يلجون المدرسة غير متكافئة لغويا (الراسمال اللساني) يقول بورديو في كتابه " اعادة الانتاج" : "التوزيع اللامتكافئ للرأسمال اللساني ذو المردودية النسبية، بين مختلف الطبقات الاجتماعية يشكل إحدى التوسطات الخفية؛ والتي تتأسس خلالها العلاقة بين الأصل الاجتماعي و النجاح المدرسي ، وبالتالي فابناء الطبقات الشعبية مهددون منذ البداية بالفشل الدراسي عكس ابناء الطبقة الحاكمة ؛ لصعوبة عمليات التواصل لديهم بل وحتى الثقافة التي تفرضها المدرسة فانها ليست ثقافة فئات المجتمع وانما هي ثقافة الطبقة المهيمنة ؛ مما يعني العمل على الحفاظ على ثقافة هذه الطبقة مما يجعل ابناء الطبقة الدنيا تعيش في غربة هذه الثقافة " ولكي يتوافق (الطفل) دراسيا معها ؛ عليه ان يتخلص من رواسب ثقافته ؛ ويتعلم طرائق جديدة في التفكير واللغة والسلوك ؛ اي ان يمر حسب تعبير بيرنو اولا بعملية الانحلال من الثقافة ثم ثانيا بعملية المثاقفة.

المحاضرة العاشرة : التعلم الاجتماعي في حقل علم اجتماع التربية

1 -مدخل عام مقارنة التعلم الاجتماعي 2 -اهم رواد نظرية التعلم الاجتماعي	عناصر المحاضرة
في نهاية هذه المحاضرة سيتوصل الطالب الي التعرف على نظرية التعلم الاجتماعي واهم روادها	اهداف المحاضرة

1-مدخل عام لمقاربة التعلم الاجتماعي

تعتبر نظرية التعلم الاجتماعي من النظريات التي حاولت ترك بصمتها في استقراء الواقع التعليمي والتربوي ودفع عجلاته نحو النمو والرقي لتحقيق أهدافه وغاياته، وتعرف هذه النظرية بعدة أسماء أخرى على اختلاف روادها مثل نظرية التعلم بالملاحظة ، والتقليد أو نظرية التعلم بالتمدج أو النظرية الانتقائية، ويرجع الفضل في تطويرها إلى العالمين النفسانيين "جوليان روتر (Rotter Julian) " و "ألبرت باندورا (Bandura Albert) "

وتتطلق هذه النظرية من افتراض رئيسي مفاده أن الإنسان كائن اجتماعي يعيش ضمن مجموعات من الأفراد يتفاعل معها ويؤثر ويتأثر فيها، وبذلك فهو يلاحظ سلوكيات وعادات اتجاهات الأفراد الآخرين ويعمل على تعلمها من خلال الملاحظة والتقليد، حيث يعتبر هؤلاء الآخرين بمثابة نماذج يتم الاقتداء بسلوكياتهم، ويتم انتقاء أنماط وسلوكيات معينة حسب مستوى الفرد ومستوى الدافعية عنده، تسمح لهم بتعلم جوانب معينة وإعادة أدائها. ولم تصمم "نظرية التعلم الاجتماعي من منظور الدقة والموضوعية فحسب، بل حتى يكون لها دلالات عملية كذلك، وبصورة محددة فقد صممت لتكون ذات فائدة لعلماء النفس الإكلينيكي الذين يمارسون عملهم هذا فعلا...وتطبيقات النظرية على التعلم...وتغيير السلوك الاجتماعي.

2- اهم رواد نظرية التعلم

1- جوليان -بي- روتر وأفكاره التربوية:

لقد عمد "روتر" إلى وضع لمساته في نظرية التعلم الاجتماعي، حيث نشأت من التقاليد الواسعة لكل من نظرية التعلم ونظرية الشخصية، و"تبحث هذه النظرية في السلوك المعقد للأفراد في المواقف الاجتماعية المعقدة، وتضم النظرية تحت مبدأ عام كما تحدثت تكاملاً بين ثلاثة اتجاهات تاريخية واسعة في علم النفس هي: السلوك والمعرفة والدافعية، وتؤكد النظرية على أنماط السلوك التي يجري تعلمها، والتي تتحدد في نفس الوقت بفعل متغيرات التوقع (المعرفة) وقيمة التعزيز (الدافعية)، أي أن الجوانب الأساسية لهذه النظرية هي السلوك والمعرفة والدافعية، والسلوك الاجتماعي فيها يتحدد في ظل السياق والظروف التي تحدث فيها ويتأثر بدرجة كبيرة بالتوقع أو المعرفة المتعلقة بالتعزيز ومستوى الدافعية. وفي نظريته حاول روتر وصفها وشرحها من منطلق نفسي من خلال فهم الأحداث والسلوكيات وفق وجهة نظر عقلية وليست واقعية إجرائية ويصر روتر على أن مفهوم التعلم الاجتماعي يدل عملية التعلم تكون في بيئة اجتماعية أو محيط اجتماعي يكتسب فيها الفرد معاني ومقاصد وسلوكيات من خلال التفاعل والتبادل الاجتماعي مع الآخرين، ويتأثر الإنسان وتتوسع مداركه أكثر كلما كانت علاقاته وتفاعلاته الاجتماعية أكبر، كما أن عملية التعلم تصبح ذات معنى وقيمة وذات فعالية عندما تحقق نوع من الربحية والمنفعة والحصول على مكافأة ما. وعليه فإن عملية التعلم عند الطفل داخل الأسرة أو التلميذ في الملعب الصفّي مرتبط بقدره الأولياء في الأسرة أو الأساتذة في المدرسة مثلاً على تهيئة البيئة التعليمية المناسبة وإتاحة الفرصة أمامهم للمشاركة في الأنشطة والمواقف التي تنمي العادات والاتجاهات الصحيحة وتنمي قدراتهم مع الاهتمام بكل ما يحقق مصلحة الفرد والمجتمع، كما أنه في هذه العملية لا بد من التعرف على حاجات وميولات ومشكلات الأفراد .

وقد استخدمت نظرية التعلم الاجتماعي عند " روتر " مفهومي التعزيز (التدعيم) والتوقع

حيث يتم عن طريق التعزيز للوصول إلى الأهداف التي تستخلص من السلوك المباشر،

واستخدمت "قانون الأثر الأمبيرقي هو الذي يعطي النظرية ثمرها الدافعي بالإضافة إلى نكهتها

القائمة على المعرفة والتوقع، أي أن كل سلوك له أهدافه التعزيزية التي يبني عليها الفرد

احتمالاته، وذلك حسب ميولاته وآراءه وقدراته التي تؤثر في حدوث هذا السلوك . كل هذا يمكن

إسقاطه على المؤسسات التربوية والتعليمية، فوفق تصور "روتر" فإن السلوك الإنساني يحدث في

المؤسسات التعليمية والتربوية، هذه السلوكيات تحكمها مجموعة معايير وقيم يدور حولها اتفاق من طرف الجميع من بينها إشباع حاجات الأفراد من التعلم والمعارف والمهارات وتعزيز سلوكيات المتعلم الإيجابية، وخلق مناخ تعليمي متميز مبني على تفاعلات اجتماعية راقية وضرورة احترام الآراء المختلفة وتشجيع المبادرات وضرورة التعاون لحل المشكلات... إلخ

2- ألبرت باندورا وأفكاره التربوية :

يعد "باندورا" أحد الرموز الأساسية لنظرية التعلم الاجتماعي، وهو عالم يجتذى به في التفكير بهذا المجال، حيث نادى بضرورة إخراج موضوع التعلم من المخابر إلى البيئات الواقعية وقد "اهتم بالأصول الاجتماعية للفكر وشرع في إجراء بحوث حول التعلم بواسطة التقليد، حيث اتضح أننا نتعلم الكثير باتخاذنا أشخاصا آخرين كنماذج... ولقد أدت بحوثه وتجاربه إلى ظهور العديد من نظريات التعلم الاجتماعي المعرفي التي تم تطبيقها في مجالات التكوين في المدارس والمؤسسات الإنتاجية والتعلم عند باندورا مرتبط بخاصية الملاحظة، فالإنسان كائن اجتماعي يعيش ضمن مجموعات من الأفراد يتفاعل معها ويؤثر فيهم ويتأثر به م، ويلاحظ سلوكيات وعادات واتجاهات الآخرين ويعمل على تعلمها من خلال الملاحظة والتقليد، فالطالب مثلا يلاحظ أستاذه ويقلد كل سلوكياته وحركاته لذا وجب على هذا الأستاذ في المؤسسة التعليمية وداخل الحجرة الصفية أن يتمتع بمهارات وكفايات ذات طابع إنساني وديمقراطي لأنه قدوة ومثل بالنسبة للطلبة وفي نفس الوقت فإن هؤلاء الطلبة سيقلدون كل ما يقوم به وبالتالي يمكن الحصول في الأخير على مخرجات ذات قيمة وذات جودة تحاكي دائما جودة الأستاذ، فإذا كان هذا الفاعل ديمقراطي سنحصل لا محالة على طلبة ديمقراطيين يؤمنون بالحرية والرأي الآخر والتواصل الجيد وأسلوب المناقشة والحوار، وإذا كان غير ذلك سننتج طلبة يقلدون كل الممارسات والسلوكيات الغير سوية التي قلدها عن مدرسههم .

ويحدث التعلم عند باندورا عن طريق التفاعل بين ثلاث مكونات هي السلوك، ظروف الشخص والمحيط (البيئة)، فكل تعلم يكون من خلال التفاعل مع المحيط وتفاعل مع سلوكيات الآخرين، هذا التفاعل من شأنه أن ينمي المهارات والكفايات السلوكية والاجتماعية والمعرفية للمتعلمين .

كما ترتبط عملية التعلم عند " باندورا " والقائمة على الملاحظة والتقليد على دافعية الفرد والافتداء بالنماذج والسلوكيات التي نتائجها إيجابية وتكون فيها قيمة الثواب واضحة، فالمتعلم يميل

نحو تكرار السلوك المعزز وتجنب السلوك الذي يكون فيه نوع من العقاب، وتميل دافعيته دائما نحو النماذج السلوكية التي لاحظها وتركت له توقعا وأثرا إيجابيا وتقوم مرجعيات التفكير في فكر " باندورا " إلى تبنيه مجموعة من المبادئ التربوية التالية :

(برتراند غيفاس، 2001، ص.130)

التأثير المتبادل : حيث تقوم هذه النظرية على مفهوم التأثير المتبادل بين العوامل الاجتماعية الثقافية والعوامل الذاتية والعوامل السلوكية في التعليم والممارسة **التعلم غير المباشر:** وهو تعلم الأشياء داخل المنظمات التعليمية لا يحدث بقيام الفرد، بل يمكن أن يتعلم بملاحظته لأشخاص آخرين يقومون بعمل هذه الأشياء .

التمثيل الرمزي: وهو تمثل كل ما يجري في المحيط لتنظيم الفعال والأفكار بتحويل كل السلوكات التي تم ملاحظتها إلى رموز تشكل أساس التعلم عند المتعلم

إدراك الفرد لدافعيته : وتتمثل في نوع الإدراك الذي يكونه الفرد عن قدرته على التفوق وعن فاعلية معالجاته وتدخلاته، فالتعلم يتوقف على نوع الحكم الذي يصدره الفرد عن قدراته

الضبط الذاتي: فالفرد يملك القدرة على ضبط ذاته، وأن يتحرك انطلاقا من حاجاته

النمذجة: حيث يتعلم الفرد بواسطة التخلق أي بتقليد الآخرين و وضعهم كنموذج .

كما أن المتعلمين في المؤسسات التربوية والاجتماعية يتفاعلون فيما بينهم ويلاحظون عن قصد، ويتبنون السلوكات والممارسات التي يعتبرونها كنماذج، ثم يقومون بتخزينها واسترجاعها وترجمتها إلى سلوكات في الوقت المناسب، هذا الاسترجاع يكون مرتبط بوجود دوافع وعمليات تعزيز يتوقع منها المتعلم أشياء إيجابية وثواب معين، كل هذا مع ضرورة انتقاء الأنماط السلوكية التي تحقق أهدافه وتزيد من رصيده المعرفي والسلوكي والاجتماعي .

وأخيرا يوصي " باندورا " ¹ المعلمين والمتعلمين بضرورة تبني وانتهاج وإتباع في أي موقف تربوي وتعليمي سلوكات الأشخاص الذين يعتبرونهم كنماذج، وضرورة تعلم وتعليم ما هو مفيد، مع تحليل وانتقاء السلوكات المراد تعليمها وتعلمها مع إعطاء تبرير لقيمة هذه السلوكات وتعزيز سلوكات المتعلمين وتكوين رموز إيجابية عن ذواتهم وأنفسهم تزيد من ثقتهم بأنفسهم، دون إهمال داخل الموقف الصفي الممارسات التي تجمع بين ما هو نظري وتطبيقي، والنشاطات

والفعاليات التي تزيد من كفاءة التعلم لدى المتعلم ومن دافعيته للتعلم، ومن ثمة زيادة فرص نجاحه ورفع نتائجه التحصيلية وتحقيق أهدافه الشخصية وأهداف العملية التربوية عموماً

المحاضرة الحادية عشر: نظرية الانتشار الثقافي في حقل علم اجتماع التربية

عناصر المحاضرة	1 -
اهداف المحاضرة	في نهاية هذه المحاضرة سيتوصل الطالب الي

1-تعريف النظرية :

نظرية الانتشار الثقافي هي احدى النظريات التأسيسية الهامة في مجال الانثربولوجيا والجغرافيا البشرية و علم الاجتماع تعرف بانها العملية التي تنتقل من خلالها السمات الافكار العادات التقنيات اللغات الاديان والممارسات الاجتماعية من مركز حضاري او مجتمع مبتكر الي مجتمعات وحضارات اخرى مستعيرة عبر قنوات الاتصال والاحتكاك الجغرافي والتاريخي .

تفترض النظرية بشكل اساسي ان التغييرات الثقافية الكبرى التي تطرأ على المجتمعات البشرية لا تتبع دائما من ابتكار داخلي ذاتي ومستقل بل هي في معظمها نتاج عمليات اقتباس وافتراس مستمر من الثقافات المجاورة او المتفاعلة معها

2-المبادئ الاساسية النظرية :

تنطلق المدرسة الانتشارية من مبدئين اساسيين هما :

-ندرة الابتكار البشري : يرى رواد هذه النظرية ان العقل البشري يميل بطبيعته إلى التقليد والمحاكاة والاستعارة الثقافية بدلا من ابتكار افكار جديدة من العدم وبالتالي فان التشابه بين ثقافتين متباعديتين يرجع غالبا الي وجود اتصال تاريخي بينهما وليس الي تطورهما بشكل متوازي ومنفصل

-الاعتماد المتبادل بين الحضارات : تؤكد النظرية على ان أي ثقافة محلية في العالم اليوم تتكون في حقيقتها من نسبة هائلة من عناصر مستعارة من الخارج جربصرها وتوطينها بمرور الزمن لتلائم الهوية المحلية .

3-اهم رواد النظرية

فريدريك راتزل: يعتبر الاب الروحي للمدرسة الانتشارية الجغرافية الماني ركز على دور الهجرة والتنقل البشري وقنوات الاتصال الارضية في نقل المظاهر الحضارية كادوات الزراعة وتقنيات تدجين الحيوانات .

الفريد كروبر : انثربولوجي امريكي بارز استخدم مفهوم الانتشار الثقافي بشكل منهجي عام 1940 وصاغ مفهوم انتشار المثيرات لوصف الطريقة التي تنتقل بها فكرة عامة دون تفاصيلها المادية مما يدفع المجتمع المتلقي لابتكار صيغته المحلية الخاصة بناء على ذلك المثير الخارجي.

ليرويفروبنوس وفريتز جرينز : طورا مفهوم الدائرة الثقافية وهي فكرة نشير الي ان العناصر الثقافية تنتقل كمجموعات متكاملة من مراكز جغرافية معينة لتنتشر عبر المحيطات والقارات ..

4-اليات وانواع الانتشار الثقافي :

صنف العلماء مسارات انتقال الثقافة الي عدة انواع رئيسية هي :

-الانتشار بالنقل : يعني انتشار العنصر الثقافي نتيجة انتقال اصحابه الحقيقيين ديمغرافيا عبر الهجرة او اللجوء

-الانتشار بالتوسع : يعني انتشار الفكرة او السمة الثقافية بين الافراد والمجتمعات الاخرى مع بقائها قوية وراسخة في موطنها الاصلي .

-الانتشار بالعدوى : يعني انتقال السمة الثقافية بشكل مباشر وسريع جدا من شخص لآخر نتيجة الجوار والاتصال اللحظي .

-الانتشار الهرمي : يعني انتقال الافكار من المراكز الحضرية الكبرى او الطبقات الاجتماعية العليا ثم تدرجها للأسفل .

-انتشار المثيرات :يعني اقتباس الفكرة الاساسية او المفهوم العام فقط مع تطوير شكل تطبيقها محليا لعدم القدرة على نقل التفاصيل المادية .

5-شروط ومحددات الانتشار الثقافي :

ان عملية الانتشار لا تحدث بشكل عشوائي ، بل تحكمها عدة شروط حددها علماء مثل ايفريت في اشروط التالية :

-التقارب الجغرافي: تزداد سرعة الاقتباس كلما قصرت المسافة المكانية بين المجتمعات حيث يسهل الاحتكاك المباشر.

-التوافق القيمي والثقافي : لا يقبل المجتمع المتلقي العنصر الثقافي الجديد الا اذا وجد فيه فائدة علمية وتوافقا مع قيمه الدينية والاجتماعية السائدة والا واجه العنصر الرفض والمقاومة

-قنوات الاتصال : يعتمد حجم الانتشار على تطور وسائل النقل والاتصال من القواقل التجارية القديمة على طريق الحرير الي شبكة الانترنت العالمية الحالية .

6- اسقاطات نظرية الانتشار الثقافي في الحقل التربوي :

عند نقل هذا المفهوم الي البيئة التربوية نجد ان المدرسة لا تقتصر على كونها اداة لاعادة الانتاج الاجتماعي بل هي قناة رئيسية للانتشار والتبني الثقافي ، فاننتقال العناصر الثقافية والبيداغوجية يتم عبر مستويات مختلفة :

-من المنظومات الدولية الي المنظومات الوطنية (انتشار خارجي) تبني النماذج التعليمية الغربية او الدولية مثل مقاربة الكفاءات ، انظمة التقييم الدولية ، تكنولوجيا التعليم الرقمي ، كل هذه الامور هي شكل من اشكال الانتشار الثقافي العابر للحدود حيث تنتبى دول مصنفة كمراكز ثقافية اساليب تعليمية وتنتشر الي الاطراف .

-من الالارة المركزية الي المؤسسات (الانتشار العمودي) انتقال الاصلاحات التربوية والمناهج الجديدة من وزارة التربية (المركز) الي المدارس والمعلمين (الحيط) .

-بين الفاعلين التربويين (الانتشار الأفقي) انتقال الممارسات البيداغوجية المبتكرة طرق التدريس
والتمثلات الثقافية بين المعلمين انفسهم او بين التلاميذ عبر التفاعل اليومي .

ويمكننا الاعتماد على النموذج السوسولوجي الذي وضعه ايفريت روجرز لفهم اسقاطات النظرية
في الحق التربوي من خلال ما سماه انتشار الابتكارات حيث وضح فيه كيف تبنى الافكار الجديدة
في التربية حيث يمر الفاعلين (المعلمون ، الاداريون ، التلاميذ) بخمس مراحل هي :

1-المعرفة : التعرف على المقاربة البيداغوجية الجديدة او الوسيلة التكنولوجية مثل الذكاء
الاصطناعي في التعليم .

2-الاقناع : تشكيل اتجاه ايجابي او سلبي نحو هذا الابتكار التربوي .

3-القرار : اتخاذ قرار بتبني الاسلوب الجديد او رفضه .

4-التنفيذ : ممارسة الاسلوب الجديد داخل القسم او المؤسسة .

5-التأكيد : تقييم النتائج والاستقرار على الممارسة الجديدة او التخلي عنها .